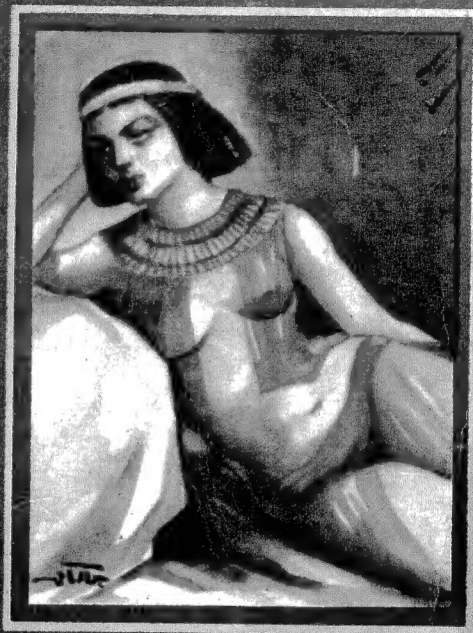




امین یوسف غراب



امراة العزيز

المن
١٠
فروش

أمين يوسف عراب

امثلة العزيز

الكتاب الذهبي



الشارع

الى الزقاق الذى ولدت فيه
والخارة التى نشأت فيها
والشارع الذى افطنه ..
« امين يوسف غراب »

خانه
بازار



ما ذهبت يوما الى قريتنا يوما الا وتذكرت أسعد أيام حياتي التي قضيتها فيها ، وأنفقتها في مغانبها ، ألعب الاستغماية في الجرن وأركب النورج ، وأسقى البقرة ، وأرعى الشاة على القناسة ، وأسعد بالنيل العظيم الذي نشرب منه ونستحم فيه ونجذف بأرجلنا الصغيرة وسواعدنا الطرية على صفحته الرقراقة التي تحضنتنا في رفق ، وتحنو علينا في عطف وتغمرنا أمواجهما الصافية كما تغمر الأم وجه طفلها بقبلاتها ، أو نلعب عند المحطة وننتظر قطار الدلتا وعربات البضاعة الطويلة التي يجرها خلفه فنفرح لطلعه ونظرب لدويهِ ونركض خلفه وتتسلق عرباته ونركب عليها حتى يغادر المحطة ويتسلل بنا كالنعبان الطويل وسط المزارع حتى يكاد يبتعد بنا عن القرية ، نفكر من عليه ونلقى بأجسامنا الصغيرة بين الحقول ونعود الى المحطة ونجلس خلف خمارة كرياتكو تحت الجميزة الكبيرة المعجوز التي تنساب من تحتها مياه قوية متدفقة ، نلعب الطرة أو الطلع ، أو السبيجة بحبات القول التي تكون قد ملأنا بها جيوبنا من عربات القطار مهللين في أصوات عالية كلما أكل كلب أسود كلبا أحمر ونظل كذلك الى أن تخرج علينا مدام كرياتكو بثوبها القصير وشعرها الطويل وصدرها العاري تزوم وتنونو كالقطط أو يخرج علينا كرياتكو ببطنه الكبير المنتفخ الشبيه بقرية عم زقدان سقاء قريتنا فيرغى ويزبد ويلفظ من بين شففيه المترهلين ألفاظا لا نعرفها ويروح يقدفنا بمائه الملوث الذي يحتفظ به لنا في جردل كبير يخرج علينا به دائما .. فنخاف ونركض هربا الى الأتفة والحارات .. ومن في قريتنا لا يخاف من كرياتكو حتى لا نخاف نحن منه ؟

فقد كان كرياتكو في قريتنا رجلا مرهوب الجانب الى حد كبير كما كانت خمارته ذات الحديقة الجميلة التي تجاور المحطة قبله أهل القرية جميعا .. يجلس فيها العمدة .. ويجلس فيها كذلك أهل الجاه واليسار من أهل قريتنا وبعض القرى المجاورة يجلسون النبيذ الأحمر ، الذي توزعه عليهم مدام كرياتكو ذات الحسن والدلال .. التي خلعت لب نساء قريتنا .. فكان

وهن فى طريقهن الى النهر يملأن الجرار يقفن عند حديقتهما ويختلسن النظر اليها يتفرجن عليها .. ويعجبن بجمالها الذى يشبه جمال السفيرة عزيزة التى كن يتفرجن عليها فى صندوق الدنيا الذى كان كرياكو يحمله على ظهره أول ما وفد على قريتنا .. ويسير به أشبه بالبلياتشو فى سرواله الأحمر .. وقمصه الملون ، وطرطوره الطويل المصنوع من الورق .. ويطوف به الحارات والأزقة ، ينادى عليه بمزمارة الطويل الذى ينفخ فيه فتهرع اليه وتتسابق على عيون الصندوق الزجاجية فنرى صورا كثيرة تمر أمامنا يفسرها لنا كرياكو بصوته ذى الجرس المنغم ولهجته التى تغلب عليها اللكنة الرومية ..

فهذه هى السفيرة عزيزة ذات الحسن والجمال .. وهذا هو عشيقها يونس العاشق الولهان وهذا هو الزناتى خليفة .. اتفرج يا سلام .. وهذا دياب بن غانم بشواربه التى يقف عليها الصقر .. وهذه هى ناعسة الأجنان ذات الجمال والدلال .. أما هذا فسيد العربان .. وفارس الفرسان أبو زيد الهلالي سلامة وخادمه أبو القمصان .. وكنا نرى ذلك كله بشق من زغيف .. وما أكثر الأثرغة التى أخذها منا كرياكو ، وما أكثر أيضا العصي التى انهالت على أجسامنا الصغيرة كلما اكتشفت أمهاتنا سرقة العيش من الخزانة ..

والى اليوم لم أر صندوق الدنيا ، أو يجرى اسم كرياكو على لسانى الا تذكرت تلك الأثرغة التى سرقتها ، وتلك العصي التى ضربت بها ..

وكان هذا التاريخ البعيد هو أول عهد قريتنا بكرياكو ، وصندوق دنياه الذى يحمله على ظهره .. غير أنه بعد ذلك ضاق بهذه المهنة فاستبدل بها مهنة أخرى وهى بيع الصابون الممسك ، والأمشاط ، والمناديل الحريدية الملونة وبعض العطور لنساء القرية وفتياتها الأبتكار .. ولم يكلفه هذا شيئا ، فقد قلب صندوق الدنيا الى صندوق صابون ومناديل وزجاجات عطر القسيس ، يحمله على ظهره ويطوف به القرى والعزب مستعملا نفس النفير .. وما كان عليه الا أن يقف على رأس الحارة أو الزقاق وينفخ فى النفير الذى كان ينفخ فيه أيام السفيرة عزيزة والزناتى خليفة ، حتى تهرع اليه نسوة القرية

جميعا وبناتها ويلتفنن حوله يشتريهن منه ويبيع لهن ويجادلونه ويجادلهن في لهجته ذات اللكنة الرومية الجميلة المحببة الى نفوسهن ..

وربح كرياكو من وراء هذه التجارة الجديدة ربعا مكنه من أن يشتري حمارا وخرجا وضع فيه بضاعته وحمله على حماره وراح يطوف به قرى المركز جميعا راكبا حماره العزيز الذى استطاع أن يدربه على ما يريد وعلى ما فيه راحته ، وأهم مادربه عليه وأتقنه الحمار اتقانا غريبا .. هو أن الحمار عندما يقبل على أول القرية يرسل نهيقه الطويل الذى تعرفت عليه النساء فى القرية فيهرعن الى كرياكو ويستقبلنه على رأس الطريق ..

وظل كرياكو هكذا زمنا طويلا ، غير أنه فجأة زهد فى هذه المهنة وتركها الى مهنة أخرى ..

فقد استأجر من شركة الدلتا بوفيه المحطة ، وهو عبارة عن كشك خشبي صغير بجوار كشك الناظر ، وجاء بعم غندور نجار السواقي فى قريتنا ، فأقام له به عدة أرفف وصنع له عدة كراسى خشبية صغيرة وثلاث تراييزات صنعها له عم غندور من خشب السنط .. وملأ هذه الأرفف بزجاجات النبيذ الأحمر والعرقى والكونياك الرخيص .. كما راح يصنع القهوة والشاي للمسافرين بقرش واحد للفنجان ..

أما النبيذ والعرقى فيقرشين ، والكونياك بثلاثة قروش بما فى ذلك المزة التى كان يجيد صنعها كما يجيد تقديمها مكونة من الترمس والفول النبات والجزر المخلل الذى يتحدث لكل زائر عن فائدته وتأثيره وقيمة الفيتامينات التى يحتوى عليها ..

وبعد أن استقر به الحال فى هذا العمل الجديد واطمان اليه .. غاب عن القرية أياما ذهب فيها الى الاسكندرية ثم عاد ومعه زوجة جميلة تشبه فى شعرها الذهبى وعيونها الزرق وقوامها الأليف المشوق ، السفيرة عزيزة التى كان كرياكو فيما مضى من الأيام يعرض علينا صورتها فى صندوق الدنيا ، وأخذت مدام كرياكو تماونه فى عمله ، هو يصنع القهوة والشاي وبعد كاسات النبيذ والعرقى .. ومامد كرياكو توزعها على الزبائن الذين يتركون عملهم ويهربون من الحقل ويجلسون طوال النهار

في خمارة كرياكو يحتسون النبيذ ويلعبون البصرة ، ويختلسون نظرات الهيام والعشق لمدام كرياكو التي كانت تعرف كيف ترد على هذه النظرات ردودا فيها من الدلال والانوثة وغنج القرنجيات ما يشبه السباط التي تلهب الجسد وتحرق نارها قلوبنا نحن أهل الريف السذج الاطهار ..

وشبنا فشيئا راج حال كرياكو رواجا كبيرا ، كما أصبحت خمارته قبلة أنظار أهل القرية جميعا رجالا وشبابا وشيوخا . وما كان على الواحد منا الا أن يجمع القروش بأى وضع وعلى أى وضع وينذهب بها الى خمارة كرياكو ويجلس فيها يشرب النبيذ ويلعب البصرة وينتظر نصيبه من تلك النظرات التي توزعها مدام كرياكو ذات الحسن والدلال .. وتوزعها على الرواد بمقدار .. حتى ضاقت الحانة بالرواد فاستأجر كرياكو قطعة أرض صغيرة خلف الحانة وأقام عليها حديقة غناء ذات تكايب للعب الوارفة وأقام تحتها عدة موائد جميلة انتشرت في الحديقة ويجلس اليها الرواد في الليل وفي النهار يشربون القهوة والشاي الأسود أمام الناس ، وأمام الحقيقة ، النبيذ والعرقى والكونياك .. تقدمه لهم في الحديقة تحت ضوء القمر مدام كرياكو كما كانت تقدمه لهم نهارا في الحانة ..

وزادت على ذلك بأن قدمت لهم شيئا آخر هو صداقتها التي بدأت توطنها ببعض ذوى اليسار من الرواد ، فصادقت العملة .. وصادقت شيخ الحفراء .. كما صادقت حضرة مأمور المركز الذى كان يجرى الى قريتنا بين الحين والحين ويقضى سهرته مع مدام كرياكو التي اختصت هي بالحانة والحديقة تدير شئونهما وتسهر على رفاهة روادهما كما تفرغ كرياكو لتجارة أخرى جديدة وهى اقراض الناس بالربا .. اذ راح يقرضهم المال الى أجل يقصر ويمتد بعمر الزرع فهذا على القطن وذاك على القمح وقالت على الذرة .. وكان لا يقرضهم المال أبدا .. حتى لا يظن أنه أصبح ميسورا يملك المال الذى يقرضه للناس ، وانما هو يقرضهم ما يحتاجون اليه من سلع يستجلبها لهم من السوق .. كالدخان والاقمشة والشاي والسكر والصابون .. وهو أيضا يقرضهم شيئا آخر غير هذا كله .. يقرضهم النبيذ والعرقى والكونياك الذى يحتسونه في الحانة ..

وقد أعد لكل زبون دائم كراسة صغيرة يوقع الزبون على إحدى صفحاتها وعلى مدام كرياكو أن تملأها بعد ذلك ببيان الطلبات وكان يرضيه الزبون الذي يدفع الحساب أولا بأول بقدر ما يرضيه ويسره الزبون الذي له في صندوقه تلك الكراسة .. التي كانت لا تخرج من هذا الصندوق إلا إذا جاء الحصاد أو جاء أكتوبر العظيم وكان من هؤلاء الذين أعدت لهم كراسة دائمة عند كرياكو ، الشيخ عصفور .. والشيخ عصفور هذا علم من أعلام قرينتنا يعرفه الجميع ويحبه الجميع .. وكان رجلا ميسور الحال يملك في قرينتنا خمسة أفدنة تدر عليه المال الوفير ، ويملك أيضا قطعة الأرض التي أقام عليها كرياكو حديقته الغناء .. وهو رجل فرح دائما ، مرح دائما ، لا يعرف ثغره غير الضحك والتندر وإرسال الفكاهة الجميلة المستلحة التي تطربك وترضيك ..

وكان يميل إلى القصر بحيث يلفت نظرك قصره الفارط ورأسه الضخم الكبير وجسمه العريض ، كما تلفت نظرك أناقته الدائمة التي تتبدى لعينيك في ثوبه الأبيض النظيف وعمامته ذات الشال المزهر التي اشتهر في القرية بأحكام لف شالها وقلوطنه حتى أن العمدة كان في اليوم الذي يذهب فيه إلى المركز لحضور الجمعية يبحث عن الشيخ عصفور ليلف له عمامته نظير خمسة قروش .. فقد كانت هذه تسعيرة لعمامة العمدة ، ثم تقل بعد ذلك هذه التسعيرة تدريجيا فتصبح ثلاثة قروش لشيخ البلد وقرشين لمن هم دون ذلك ..

والشيخ عصفور كان لا يأخذ هذه القروش لأنه في حاجة إليها. ولكن لأن مهارته في لف شال العمامة لا يصح أن تبذل أو تهان فتصبح للناس بالمجان ..

وكان الشيخ عصفور له عدة أشياء هي من مستلزماته منها حمارته البيضاء التي يركبها ومظلته التي لا تفارق يده والتي كانت من مستلزمات أناقته فهو يجدد قماشها كل عام ويحرص على أن يجعله من السوكيس الأبيض الذي يصنع منه جلبابه .. وكان الشيخ عصفور يجهل القراءة والكتابة ، ومع ذلك يحمل جريدة قديمة في يده دائما وكثيرا ما تكون جريدة المقطم التي يشترك فيها العمدة وتصله بصفة دائمة .. وكان لا يحلو

له أن يتحدث الا باللغة العربية الفصحى التى تطربك وتجعلك تستلقي ضاحكا .. كأن تقول له مثلا :

ـ ألك فى أن تذهب معنا الى السوق يا شيخ عصفور ؟ ..
فلا يقول لك لا أو نعم .. وانما يروح يعطيك درسا طويلا
فى تصاريف القدر .. وكيف أنه كان يبغى ذلك لولا أن خاب
الرجاء وضل رائد الأمل وأبى القدر الغاشم الا أن يرضى عليه
بالذهاب معنا الى السوق ..

ومن طرائفه الجميلة التى نتناقلها فى القرية الى اليوم ..
ما حدث له ذات ليلة .. فقد اشتهر الشيخ عصفور فى القرية
بأنه يكتنز المال الكثير مما أغرى به اللصوص فسقطوا على داره
ليلا وكان مستغرقا فى النوم .. فأحس بهم شقيقه وكان يدعى
مصطفى .. فتصدى لهم وطردهم بأن أطلق عليهم عيارا ناريا
من بندقيته أصاب .. القصايبية .. الملقاة بجوار الدار ..
والقصايبية هذه هى وعاء خشبي كبير يستعمل فى اصلاح الأرض
وأبلغ الأمر الى المركز فحضر على الفور رجال الضبط وعلى
رأسهم وكيل النيابة المحقق الذى استدعى الشيخ عصفور
ليأخذ أقواله .. فأقبل الشيخ عصفور يتيه عجبا بجلبابه
الأبيض وعمامته ذات الشال المزهر ومظلته السكوبيس وأدلى
بشهادته فقال :

ـ بينما كنت ليلة الأمس فى الحجرة تعلقى ، ومجرد من
ثيابى ، فدخل على اللصوص بالاردة .. والا لا نارى .. فقام
مصطفى أخى من نظره الشقى ضرب فى رجل القصايبية ..
هكذا كان الشيخ عصفور فى قرينتنا مما حببنا فيه وجعله
علما من أعلامها كما جعله أيضا زبونا دائما عند كرياكو .. فقد
كان يحب الحمر وكان يجلس طوال النهار وأغلب الليل فى
حديقة كرياكو تحت تكسية العنب الوارفة .. يحتسى الحمر
الكأس تلو الكأس تقدمها له مدام كرياكو التى أحبته واستظرفت
أحاديثه فخصته بجل نظراتها ..

وكان الشيخ عصفور يشعر بسعادة لا حد لها تكتنفه وتفيض
عليه وهو فى الحديقة تحت العناية يجلس الى مدام كرياكو
يبادلها كأسا بكأس ويمز معها من الترمس والقول النابت
والجزر المخلل الذى يجيد صنعه كرياكو ..

وامتدت السهرة الجميلة ذات ليلة بالشيخ عصفور ومدام كرياتكو وتضاعف الحساب ولم يكن مع الشيخ عصفور - فكة - فطلب منه كرياتكو أن يقيده وما أن قبل الشيخ عصفور حتى مزح كرياتكو وابتهج وهروا إلى الصندوق الخشبي ثم عاد ومعه كراسة ذات لون أزرق جميل قدمها للشيخ فوقع على ذيل إحدى صفحاتها ..

واستسهل الشيخ هذه الكراسة وراح يوقع على إحدى صفحاتها من حين إلى آخر ومدام كرياتكو تسجل عليها الحساب مفصلا ..

إلى أن مر العام فاستولى كرياتكو على بعض محصول الشيخ وأحيانا كان لا يستولى على شيء مفضلا ترحيل الحساب إلى عام آخر حتى تراكم الدين .. ولكن لما فكر الشيخ عصفور في الأمر أو أراد أن يضع له حدا خرجت له مدام كرياتكو في ثوبها القصير وشعرها الأصفر وعيونها الزرق فنسى الشيخ كل شيء إلا ذلك الدوار اللذيذ الذي يغمره وهو يشرب الخمر ويلعب البصرة مع مدام كرياتكو وينتهز كرياتكو هذه اللحظات التي ينتشى فيها الشيخ فيقدم له الكراسة الجميلة الزرقاء فيوقع الشيخ بخطمه على ذيل إحدى صفحاتها ، ثم زاد على ذلك هذه الجنيهات التي تبلغ العشرات التي يأخذها الشيخ ، لأن مدام كرياتكو ستذهب إلى القاهرة تقضي أياما وهو يريد أن يصحبها أو أنها ستذهب إلى الإسكندرية في الصيف وهو يريد أن يرافقها ..

إلى أن جاء يوم أمس فيه الشيخ عصفور وأصبح على أحد المحضرين يدق بابه ويسلمه عريضة دعوى بنزع ملكية داره والخمسة أفدنة التي يملكها في القرية وقطعة الأرض التي يقيم عليها كرياتكو حديثه الغناء .. وذلك فداء لمبلغ ثمانمائة واثنين وثلاثين جنيهًا وخمسة وستين قرشًا وثلاثة مليعات يستحقها جناب الخواجا كرياتكو ميخائيليس يردميان بموجب كمبيالات مسجلة ومستحقة الدفع وأسقط في يد الشيخ عصفور وراح يصرخ في الناس طالبا النجدة ولكن دون مجيب .. وأصر كرياتكو على طلباته ولم يستجب لشفاعة العمدة ولا حتى مأمور المركز ..

وانتزع ملكية الخمسة أفدنة والدار الجميلة وقطعة الأرض المقام عليها الحديقة وآلت ملكية هذا كله إليه ..
واسرع وابتنى دارا جميلة وسط الحديقة قطنها هو ومدام كرياتكو ..

وآلم هذا الشيخ عصفور ، وآله كثيرا .. وآله أكثر أن تنكرت له فجأة مدام كرياتكو فلم تحفل به أو تلتفت إليه إذا ما أقبل على الحانة أو خرج منها أو جلس في الحديقة التي كانت في يوم ملكا له .. وكذلك كرياتكو أصبح لا يلتفت إليه أو يعيره اهتماما بل زاد على ذلك بأنه إذا ما طلب الشيخ عصفور كأسا من النبيلة أو حتى فنجانا من القهوة أبى أن يقدمه له الا اذا تقدمه القرش مقدما ..

كما تنكر له أكثر الناس في القرية وجعلوا غرامه بملام كرياتكو ، وضياح ثروته موضع أحاديثهم وتندرهم ..
وعز هذا كله على نفس الشيخ عصفور التي كانت لا تعرف غير الفكاهة والضحك ، وأصبح يفكر في الانتقام من كرياتكو وزوجته ، هذه الغانية اللعوب ..

ولكن كيف ينتقم منهما وكل من في القرية طوع بئانهما ؟
ويأتمر بأمرهما .. حتى العملة .. حتى مأمور المركز نفسه ولما أعياء التفكير ولم يهتد الى حل يريجه وآذاه في نفسه حال البؤس الذي وصل اليه ، ترك القرية وهاجر الى مكان مجهول لا يعرفه فيه أحد . حتى انقطعت أخباره فجأة .. فمن قائل يقول أنه القى بنفسه تحت عجلات القطار .. وآخر يؤكد بأنه رآه بعيني رأسه يمد يده ليتلقى الصدقات من الناس عند مسجد الحسين . ولكن هذه الاقاويل جميعا انقطعت مرة واحدة . وذلك عندما عاد الشيخ عصفور فجأة الى القرية . وعلى حال أحسن مما كان عليها من قبل أن يذهب ماله وتضيع ثروته .. فقد راح ينفق المال ذات اليمين وذات الشمال ، وينفقه بكثرة غريبة مما لفت الأنظار اليه . ولا سيما كرياتكو وزوجته . مما جعل الاقاويل تتناقل عنه ..
هذا يقول أنه وقع على كنز كبير ، وهذا يقول أن له شقيقا كان في الجواز واستوطن فيها وأثرى ثراء فاحشا ومات من أيام فورث الشيخ عصفور ثروته هذه التي ينفق منها عن سبعة .

وعاد الشيخ عصفور من جديد الى حانة كرياتكو يشرب النبيذ ويلعب البصرة مع مدام كرياتكو التي راحت تبثه غرامها الملتهمي وكيف أن النوم كان محرما على عينيها الجميلتين طوال غيبته . الى أن تنتهي السهرة ويدفع الحساب ولكن لا على الكراسية الزرقاء بل من حافظة نقوده التي كان يخرجها مكتظة بالمال الوفير الذي يسيل له لعاب كرياتكو ويسأله عن مصدر هذا الثراء ، فيستلقي الشيخ ضاحكا ويقول :

— من عند الله يا خوجا .

الى أن جاء يوم أقبل فيه الشيخ عصفور على الحانة على غير عادته يكتنفه الحزن العميق والتفكير الممض والحيرة التي لاحداها . فسأله كرياتكو عن سره فأففى اليه به . وهو أن للشيخ عصفور صديقا عزيزا عليه جدا يقطن إحدى القرى النائية أوقعه القدر في مازق حرج للغاية ، وهو في حاجة الى ألفين من الجنيهات ينقذ بها بيته من النار .

ولقد لجأ للشيخ عصفور ليقرضه هذا المبلغ من ماله بحق الصداقة التي بينهما ، وبذلك أوقع الشيخ عصفور في مازق حرج جدا . . فهو أن أقرضه هذا المبلغ فسيعرف عنه أنه على ثراء كبير حتى أنه يقرض الناس الألوف . وهو لا يريد أن يعرف الناس عنه هذا حتى لا يقرى الاصدقاء بالاقتراض منه . أو يقرى به اللصوص فتسطو عليه . وهو ان لم يقرضه هذا المبلغ فسوف تتعذب نفسه طوال الحياة لأنه لم يقدم معونة لصديق هو في حاجة اليها . .

وراح كرياتكو يتشاور معه في الأمر . ويقلبه على عدة وجوه ويتدبر معه ، ولكنه لم يهتد الى حل موفق يرضى ضمير الشيخ عصفور ويريجع من كلام الناس ويعتبه حسدهم .

وبينما هما كذلك يتدبران الأمر ويفكران فيه . . اذا بالشيخ عصفور ينطلق وجهه فجأة ابتهاجا بالحل المفاجيء الذي اهتدى اليه ومد يده فرحا وأفرغ الكأس التي أمامه في جوفه ، وقال مبتهاجا ، وهو يندق بيده على المائدة دقة قوية في غبطة ، كمن يكون قد ظفر بشيء ثمين :

— وجدت الحل . .

فقال كرياتكو :

— ماهو ؟

— سيحضر الرجل غدا ليأخذ المبلغ . فأفهمه اننى عجزت عن الحصول عليه ولكنى توسطت له لديك لتقرضه أنت المبلغ نظير فائدة بسيطة جدا ، وانك قبلت هذا اكراما لوساطتى . . . فلمعت عينا كرياكو لمعانا خاطفا ورقص شاربه الطويل المتدل على شفثيه الكبيرتين وقطب ما بين حاجبيه وهم أن يقول شيئا ، ولكن الشيخ عصفور قاطعه ضاحكا وهو يربت على كتفه العريضة :

— انتظر . وغدا سأحضر لك المبلغ وأضعه في ظرف وأرسله اليك خلسة فتقدمه أنت اليه باعتباره منك بعد أن تحرر عليه الكمبيالة اللازمة لمدة ثلاثة أشهر هي الباقية على أكتوبر . . . وبذلك أكون قد أنقذت صديقا من الدمار . . . دون أن يطمع في غيره من الاصدقاء . ثم بعد أن ينصرف هو تحول أنت لى الكمبيالة . . .

وقدر كرياكو للشيخ عصفور هذه الأريحية الكبيرة . وهذه القلب المعجم بالخير للناس ، واسداه الحسنة دون مقابل . وان كان تفكيره في هذه الثروة الطائلة التى هبطت على الشيخ فجأة كان شغله الشاغل طول الليل . . .

وفى اليوم الثانى أقبل الشيخ عصفور على كرياكو ومعه الصديق الذى حدثه عنه بالأمس . وبعد أن شربا القهوة . وشكر الشيخ عصفور لكرياكو كرمه وفضله وأريحيته هذه التى جعلته يقرض هذا الصديق الذى لا يعرفه هذا المبلغ الكبير من المال . وبهذه الفائدة البسيطة جدا . . .

ودس الشيخ خلسة فى يد كرياكو الظرف الكبير المكتظ بالمال . فhez كرياكو رأسه الكبير وأخرج من صندوقه الخشبي حافظته المجلد وحرر الكمبيالة بالمبلغ فوقم عليها الرجل وتسلم المبلغ نقدا وعدا . ثم انصرف شاكرا لكرياكو والشيخ عصفور هذا الفضل الذى لن ينساه طوال عمره . وبعد أن انصرف حول كرياكو الكمبيالة للشيخ عصفور الذى انتقل بعد ذلك الى مدام كرياكو الكمبيالة يحتسى معها النبيذ ويلاعبها البصرة .

ومرت الشهور الثلاثة المحددة للكمبيالة • وأمسى كرياكو ذات
ليلة وأصبح على المحضر يندق بابه فى عنف ، ويسلمه عريضة
دعوى طويلة تلزمه بأن يدفع فورا للشيخ عصفور مبلغا من المال
يزيد على ألفين من الجنيهات بموجب كمبيالة محولة اليه ومحررة
على رجل مجهول اتضح أنه لا وجود له •
وفى هذا تقول جدتى التى عاصرت هذه القصة :
- والى اليوم يرى المار على قريتنا دارا جميلة ذات حديقة غناء ،
تعرف بدار الشيخ عصفور •• وكانت فيما مضى تعرف بحانة
كرياكو ••



أيام من العمر...



عرفت - رجوات - بعد أن مات أبى ، انقلبت بى أمى الى قرية بعيدة سعيًا وراء الحياة . . كانت القرية التى انتقلنا اليها كبيرة ، كبيرة جدا . . فيها طرق عنة ، وبيوت متعددة . . وكان فيها نخيل وأشجار ، وفيها أيضا جنينة وعنباية أمام منزل العملة . وكانت حارتنا معروفة (بحارة الفقى) ، ولست أدري هل مازالت باقية الى الآن ؟ أم مضت هى الأخرى مع من مضى . كانت الحارة فى نهاية القرية عند الجسر ، وكانت حارة ضيقة . . ضيقة جدا ، وكانت قصيرة أيضا . كان لها منفذ واحد فقط أما المنفذ الثانى فكان جدار طاحونة مهجورة . كدس فيها أحد أثرياء القرية زووث الماشية وسبلة الخيل والحمير ونفايات أخرى عفنة ، ليغذى بها أشجار الفاكهة التى تزين مساحة كبيرة من مزرعته . .

أنا لم أر تلك المزرعة ولا تلك الأشجار التى تثمر لصاحبها الخيرات والنعيم . ولكن رجوات حدثتني عنها كثيرا - قالت لى أن أشجارها تثمر البرتقال والجوافة والرمان ، وأكدت لى كذلك بأنها تثمر التفاح أيضا . . ولما سألتها عن التفاح عرفت أنها هى الأخرى لا تعرف عنه شيئا . ولست أدري لماذا ألمنى ذلك .

كانت الغرفة التى قطنتها أمى فى دار نهاية الحارة . وكانت غرفة رحبة فسيحة ، ولكنها كانت وطية مظلمة . . كانت الشمس لا تعرف طريقها اليها الا عندما تقارب الغروب فترسل اليها شعاعا باهتا مصفرا كشعاع العين التى تحتضر ، وكان هذا الشعاع ينفذ اليها من طاقة صغيرة تطل على الطاحونة ، قد اتخذت منها العنساكب وبعض الحشرات التى تزحف من تلال الروث والنفايات العفنة بيتا لها . . وكثيرا ما كانت تتسلل الى الغرفة فى الليل . ولذلك سدتها أمى . . وسدتها سدا محكما ، اذ حشرت فيها قلب قلة قديمة ، مفضلة الظلام الدائم على ذلك الشعاع المحتضر الذى كنا ندفع ثمنه غالبا كل ليلة . والغرفة الثانية التى كانت تلى غرفتها مباشرة ، كانت تقطنها رجوات مع أمها التى كانت معروفة فى الحارة - بخالتي (شلابة) - وهى عجوز أربت على السبعين . وأصيبت بالفالج من عشرين عاما .

قعدت على رأس الحارة بجوار صندوقها الخشبي المتآكل الذى

قسمته الى عدة أقسام للكرامة والسوداني والترمس وحلاوة
زمان وتنادى على بضاعتها هذه • تنادى عليها سواء من بها أحد
أو لم يمر ، وتذب عنها بمذبة متأكلة سواء تجمع عليها الذباب
أو لم يتجمع ذلك لأنها كانت قد فقلت بصرها الا من شعاع
ضئيل مازال يذكرها بالنور الذي كانت تراه فيما مضى • ومع
ذلك كانت راضية عن هذه الحياة لا تشعر بالضيق أبدا • ولا حتى
في الساعات التي كانت لا تجد فيها من يحملها بصندوقها الى الدار
إذا جاء الليل ، أو الى رأس الحارة ان أقبل النهار • وكثيرا ما كنت
أنا ورجوات تقوم بهذه المهمة كأن نحمل لها الصندوق أو نأخذ
بيدها ••

ولما اشتد ساعدي بعض الشيء كنت أنقل لها الصندوق بمفردي
وكان ذلك يطربها كثيرا ويطرب رجوات أيضا •• أما القرية
الثالثة التي بها البيت الذي نقطنه • فكان يسكنها الشيخ نوفل
فقيه المسجد الضريع وهو كهل في الستين من عمره • أتت الايام
على كل شيء فيه ، ولم تبق منه الا ما يشبه الصورة القديمة التي
تأكل اطارها ، وتسلس البلى الى رسمها • وكان الشيخ نوفل
مقوس الظهر يمشى دائما على عكاز من السنط الغليظ يدفعه
أمامه جاملا عليه صدره المائل الى الامام دائما حتى لتحسبه من
بعيد في قصره المفرط وجسده التحيل هرة كورت ظهرها من
شدة الهلع والفرع والخوف وبيد أنه كان بالرغم من هذا ومن
السن التي تقدمت به والاقة التي ولد بها • كان أكثر أهل القرية
همة ونشاطا وحركة دائمة • فهو يشغل في القرية وظائف عدة •
غير وظيفة فقيه المسجد التي لا يتقاضى عليها اجرا • كان حائوتي
القرية وقاري القرآن فيها •• يقرؤه على رأس الميت عندما يخرج
من الدنيا ويقرؤه على رأسه عندما يدخل الآخرة في القبر ويقرؤه
أيضا ويوزع آياته على القبور يوم زيارة الجبانة في الأعياد
والمواسم وهو يقرؤه أيضا في بعض بيوت القرية كل صباح -
بالمسائية - والمسائية هذه كيلة من الحنطة كل عام ••
أما اذا جاء رمضان فهو - مسحراتي - القرية • وكنا جميعا
أنا ورجوات ، وأمي وأمي نفرح ونفرحنا الفرحة اذا جاء رمضان •
ونسر ويفيض علينا السرور حتى يملأ البيت كله • لأننا كنا
في رمضان وبفضل الصدقات التي كانت تنهال على الشيخ

نوفل والتي كان يقسمها علينا • نحس بلذة النعمة وسعادة الدنيا وما فيها من خيرات •

وكلما اقترب العيد نعمنا بهذا الخير وغرقنا فيه ومازلت أذكر رغم التاريخ الطويل ، تلك الليالي السعيدة التي يدخل علينا فيها الشيخ نوفل بعد السحور • ويفرغ بيتنا جواله المكتظ بالنعم وتنساب أيدينا المثلثة الى تلك الكومة العالية التي أمامنا ، تستخلص الجبن من العجوة ، ومخلل الخيار واللارنج من البلح والجوافة ، والعيش المقدد من الكعك والمنتين ، وعظم الدجاج وبعض قطع اللحم الصغيرة ، وكنا أنا ورجوات نتناوب صحبة الشيخ في تلك الليالي ، أنا ليلة ورجوات ليلة ، نجوب معه الحوارى ، والأزقة والطرقات ، يحمل هو الجوال على كتفه ، ويضع ذراعه اليسرى الهزيلة على كتفى ، ويمسك بالثانية عكازه السنط ، وأنا أحمل الفانوس ، ويروح الشيخ يردد فى الليل ، يردد أهازيجه المعروفة المتكررة - ياسى فلان يا أصيل الجلود - وكان كل من فى القرية عنده أصيل الجلود ••

ولما اشتد ساعدى كنت أنا أحمل الجوال على كتفى وأدق على الطبلية وهو يحمل الفانوس ويلق على الطبلية وهو ينادى • وكانت له قدرة عجيبة فى معرفة الدور وأسماء أصحابها فما كان على عندما نبلغ أول الزقاق أو الحارة الا أن أقول له اسمها فقط ، حارة الزناتى ، أو حارة أبو طاقية ، أو زقاق أبو جاموس ، فيعرف هو البيوت بيتا بيتا ويردد أسماء سكانها اسما اسما • وذات ليلة كنا نجوب القرية قبيل الفجر كالعادة • ومررنا على دار العمدة وكان يتناول مسحوره تحت ضوء القمر فى الجنيينة ، فهمست بذلك للشيخ ، فقد كان الاتفاق أن أهمس بكل شىء • وما أن قلت له حتى تسمر فى مكانه وقد تهلل وجهه فرحا واهتزت يده مرعشة على العصا وكأنها ترقص طربا ، ومن ثم راح يرسل عقيرته فى الليل متشبيها بالسيد العمدة وبرسمه وكسمه وجماله • معددا مناقبه وأخلاقه وكريم سجاياه وأفضاله المتعددة على القرية وسكانها • وأفضاله على الناس وعلى الدنيا الخلق ، حتى استنفد كل ما فى جعبته ولم يبق شيئا يقال لأحد ولا حتى لله نفسه ، وكان هذا أطرب العمدة وأثلج كبرياه ، وأرضى مشاعره فلم يصرفنا كالعادة سريعا بشىء يوجد علينا به ولكنه ظل يأكل فى

لذة وابتهاج وهو يستمع ويستمتع بما يقال فيه من مديح ، حتى
تعب الشيخ وبع صوته وخفت حتى غدا كالهواء كمواء القطط
في الظلام ..

وعند ذلك رفع العملة يده الكريمة وأشار الى فتركت الشيخ
سريعا ككلب الصيد عندما ينطلق خلف القنص .. ولما مثلت
أمامه مد الرجل يده وأعطاني نصف دجاجة سمينة كانت أمامه
على المائدة فتلقفتها غير مصدق ، ولما انصرفت الى الشيخ لم أضعها
في الجوال ككل شيء ، وإنما أخفيتهما في جيبى وفى الطريق
سألنى الشيخ قائلا :

— ماذا أعطاك ؟

— كسرة من الخبز وبعض عظم الدجاج ..

فتمتم الشيخ وهو يسير بجانبى :

— لهم الدجاجة ولنا العظم ..

فقال عم رضوان السقاء لاهثا وكان يسير خلفنا فى الليل
يحمل على ظهره قربة ماء كبيرة وكأنه يحمل أعباء الدنيا وأثقالها
فوق كتفيه :

— لهم الدنيا ولنا الآخرة يا شيخ نوفل ..

فتبسّم الشيخ نوفل بصوت خافت وكأنه يخاطب نفسه :

— ومن الذى اختار لنا ذلك ؟

وكان الشيخ فطن الى ما يقول . فبسمّل وحوقل واستغفر الله

مرات ثم تمتم ..

— الحمد لله .. والخبرة فيما اختار الله ، وفى الدار غافلتهم
جميعا وانتهزت فرصة تجمعهم حول الجوال وتهافتهم على ما فيه
ونبشهم فى قلبه كما تنبش الكلاب فى صناديق القمامة تماما .

وأشرت الى رجوات فتبعتنى الى السطح ، ومن ثم تسلّلنا الى
قبو الطاحونة وسقطنا فوق كومة عالية من الروث والنفايات
الجافة وجلسنا فى الظلام نأكل نصف الدجاجة السمينة الشهية
ونلتهم لحمها فى لذة فائقة . ونلّع عظامها ونمسح عليها
بشفاهنا ونقرضها بأسناننا كما تقرض الجرزان فى الليل الخشب
ثم دفنا ما بقى من عظم خشن لم تقدر عليه أسناننا فى قلب الروث
وانصرفنا بتسلق جدار القبو ثانية ..

وبينما نحن نتحسس أقدامنا فى الليل انهارت كومة من التبن

تحت قدم رجوات فسقطت على الأرض فوق التبن وسقطت أنا
أيضا فوقها لأنها كانت قد تعلقت بى وجذبتنى إليها • ولكنى
نهضت سريعا ورحت أنهضها سريعا أيضا ••

وبينما أنا أمد يدى إليها فى الظلام لانهضها أحسست بشئ
تخفيه فى صدرها فتحسسته فاذا به كرة من المطاط أو الجورب
لا أدرى •• فسرنى ذلك جدا لانى أحب هذه اللعبة وكانت
تعرف ذلك ••

ولكن آلمنى أنها تخفيها عنى ولم تقل لى عليها ولذلك قلت لها
غاضبا :

— من أين جئت بهذه الكرة ؟ ••

— أية كرة ؟ ••

— هذه ••

ومددت يدى الى مكان الكرة من صدرها ووضعت يديها الاثنتين
فوق مكانين معينين من الصدر وقالت وهى تضحك هامسة
فى الظلام :

— انهما كرتان يا عبيط ••!

فخجلت خجلا شديدا واكتنفتنى موجة من الحزى لانى لم
أفطن الى مالمست يداى • ولكن من غير قصد رأيتنى أطلع الى
صدر رجوات وأحسست شيئا غريبا لا أعرف له كنها يغمرنى
ويفيض على وأن عملاقا لأعهد لى بقوته يفوص فى أعماقى كما
يفوص السباح الماهر الى القاع ويطبق على كيانى ومشاعرى فى
وحشية • وراح يهزنى هزا عنيفا وهو يلطم مشاعرى وأحاسيسى
لطومات قاسية موجعة ، ومع ذلك كله ظلت مشدودة الى صدرى
تتطلع الى الكرتين اللتين كنت أظنهما منذ اللحظات من الجورب
أو المطاط • وتطلعت أيضا الى أشياء كثيرة •• كثيرة جدا ••
ووجدت لذة كبيرة وأنا أديم النظر فى الظلام الى بعض هذه الأشياء
الى عينيها المسببتين وثغرها المطبق وكان شفاهه جلدتا كتاب
أطبق على دنيا وعوالم وحيوان لا علم لنا بها • ورأيت أيضا فيما
رأيت عينيها وأنفها وأذنيها وثغرها وأحسست كأن هذه كلها
نوافذ تنزاح مزالها أمام عيني وتفتح على أنسام عبقرة يبعث بها
فى الليل ربيع مزهر يتموج فى الظلام عطرا وشذا • ونسيت
نفسى فوقفت صامتا لا أنبس ، ووقفت كذلك رجوات صامتة

لاتنبس ٠٠

وبينما نحن كذلك نصغي الى هدير أنفاسنا المتلاحقة في الليل
نبح كلب خارج الطاحونة في الظلام فاضطربت رجوات فجأة
اضطرابا شديدا وارتمت في أحضان خائفة ترتعش وتصطك
أسنانها وتتمتم في زعر شديد ٠٠

- الكلب ٠٠ الكلب ٠٠

- لاتخافي انه خارج الطاحونة ٠٠

ولما اطمأنت الى ذلك قالت :

- ظننته في الطاحونة ٠٠

- افرضي ذلك ؟ ٠٠٩

- انني أخاف من الكلاب ٠٠١

- الى هذا الحد ؟ ٠٠

- كنت يوما لعب في الجرن بجوار مندرة الشيخ فراج ،
فألقوا من النافذة بورقة ظننت بها شيئا يؤكل ، فأسرعت الى
مكانها ولكن الكلب كان قد سبقني اليها وعضني في ساقى .
وفجأة قلت في غيظ وغضب وصوت خشن يشبه صوت الرجل
المكتمل الرجولة :

- أي كلب ٠٠ دلينى عليه ؟ ٠٠ ١٩

فضحكت رجوات وربتت على كتفى وهي تنصرف أمامي لتتسلق
معا جدار الطاحونة في طريقنا الى السطح . بيد أننا أحسنا
بحركة غير عادية على السطح ، بأقدام تروح وتجيء في دارنا
فظنناه الشيخ نوفل يصعد الى السطح لينام عليه بعد السحور
كمادته ٠٠ فخشيننا أن يحس بنا ففضلنا الخروج من الباب
ومشيننا في الليل مسافة طويلة حتى أشرفنا على باب الحارة ،
وما أن سرنا فيها خطوات حتى سمعنا صراخا وعويلا ينبعث من
دارنا في الليل وكأنه السنة اللهب تندلع في الظلام . ورأينا
الشيخ نوفل يقبل علينا من بعيد في خطى سريعة وهو يردد ويدق
الأرض بعكازه السنط الغليظ ، فتكاد تهتز الأرض تحت
قدميه ٠٠

- انا لله وانا اليه راجعون ٠٠

وما أن اقترب منا وأحس بنا حتى وقف فجأة واقترب من
رجوات وقال وهو يربت على وجهها وكأنه مبصر ينظر اليها .

— البقية في حياتك .. تعيش انت يا بنتي ..
وأدركت الفتاة كل شيء فانطلقت كالسهم ، ووقفت أنا ذاهلا
أصغى في الليل الى ذلك الصراخ الذي ينبعث في أذني كالنار ،
وأطلع الى الشيخ وأعجب لعينين تعرفان جيدا كيف تبكيان ،
ولكنهما لا تعرفان كيف تريان ..

وتغير الحال بعد ان ماتت أم رجوات وأظلمت الحارة ، ورائت
عليها وحشة كثيفة ينقبض لها الصدر حتى لكانها هي الأخرى
استشعرت اليتيم الذي استشعرته الفتاة تماما . فأقفرت من المارة
فلم يعد الصبية وأبناء الاثرياء في القرية الذين يملكون الملايم
والأرغفة وكيزان الذرة يتجمعون على رأسها ويلتفون حول
صندوق — خالتي شلباية — يشترون الكراملة والسوداني
والترمس وحلاوة زمان . حتى رجوات أيضا حرمت منها الحارة
فقد أشفق عليها بعض أهل الخير في القرية فالحقوها كخادمة في
دار العمدة وانتقلت اليها وتقطعت الأسباب بيني وبينها ..
وبقيت أنا وحدي في الحارة أقطعها عشرات المرات في الليل
والنهار ، أروح وأجيء فيها وحدي كالكلب الغريب ، والضال
الذي يتسكع في الطرقات وأمام الابواب ، وكلما رأى أحدا خاف
واستكان وبصيص بذنبه وتطلع بعيني ، وظللت كذلك الى أن
ألحقني أمي أنا الآخر بوظيفة — تمل — عند رجل من أثرياء
القرية كان يملك فيها سبعة أفدنة وجاموسة وثورا وثلاثة حمير
للسباح ، وريهانة كانت موضع اهتمامه لأنها كانت ركوبته
الخاصة ، وكان على وحدي أن أعول كل هذه الأسرة الكبيرة غير
المتجانسة من الحيوانات وأعنى بها وأقضى لها حاجاتها .

ففي الصباح الباكر أعد الفطور للجاموسة قبل الحلب ، ثم بعد
ذلك أسقيها وأنقلها مع الثور الى الحقل وأعد لهما طعام اليوم كله
ثم أعود الى الرهوانة وأذهب بها الى التربة فأحميها وأطمرها
وألقيها بالفرشاة الحديد مما يكون قدعلق بها من حشرات الاسطبل
كالقرضة أو غيرها . ثم أنظف السرج واللجام وأمسحهما جيدا
والم ما فيهما من قطع نحاسية حتى يصبح الركاب النحاسي كالذهب
يتألق بهاء في قدم سيدي ، ثم أقضى بقية النهار بعد ذلك في نقل
الروث والأتربة العفنة من الزريبة الى الحقل وأنقل الأتربة الجافة
من الحقل الى الزريبة ، وكان هذا عملي في النهار .

أما اذا جاء الليل فعلى أن أنظف المندرة وأرتب مقاعدها وأرشيها بالماء وأملأ المصباح بالبتروول وأمسخ زجاجته ، ومن ثم أجلس أمام بابها في انتظار أضياف سيدي الذين يتوافدون عليها معه بعد الصلاة فأعد لهم القهوة والشاي ، وتار النارجيلة وكان هذا يضايقني ويرهقني ارهاقا شديدا أيضا والضيوف لا يتخرجون ولا يسكتون ، بل ينددون بذلك لسيدي من حين الى آخر فيثور ويفضض ويضربني ضربا موجعا ..

وأذكر ذات ليلة أنه كان من بين رواد المندرة - سي خليل - وسي خليل هذا هو ابن العمدة وهو فتي مدلل للغاية لأعمل له الا أن يتزين ويتعطر ويسير في وسط القرية يتهادى كالطاووس في جلبابه السويسي الأبيض ، أو الحرير السكروتة وطاقيته الشبيكة المنشأة ذات التخاريم المطرزة التي تمثل القمر ومن حوله النجوم ترسل نورها على - قصته - التي تدلت خصلاتها على جبينه يداعبها الهواء ، كما يداعب جلبابه الحرير الهفيف ، الذي يعتمد سي خليل دائما وهو يسير أن يرفع ذيله الى مافوق الساق ليظهر «أستك» جوربه الأحمر الفاقع .. وطلب سي خليل في تلك الليلة فنجانا من القهوة فصنعت له سريعا وأجهدت نفسي لكي أصنعه له جيدا ، ومع ذلك عندما قدمته له نظر فيه وقال على الفور لسيدي متهمكا ..

- بقي دي قهوة تنشرب .. وفي بيت شيخ البلد ..

فقد كان سيدي شيخ البلد ولذلك أخذته العزة وقال :

- مالها ؟

- دي مية ..

وما أن نظر سيدي الى الفنجان حتى صفعني صفعه شديدة جعلت الدم يتجمد في أذني ويصعد الى عيني ولست أدري لماذا لم أتوجع لهذه اللطمة القاتلة بقدر ماتوجعت من ابتسامه سي خليل وهو يتبسم مسرورا عندما صفعني سيدي ..

لقد تأكدت في تلك اللحظة بالذات أنني حقيقة أكره هذا الفتى ولكن لماذا أنا أكرهه ؟ كنت لا أدري وكثيرا ما كانت سهرات سيدي في المندرة تمتد الى ما بعد منتصف الليل وأحيانا الى الفجر .. وكما يقمي الكلب أمام رجل يأكل ويزوج يترقبه في يقظة وانتباه .. كنت أنا كذلك أقعد أمام المندرة في الدهليز أرقب في يقظة

وانتباه يد سيدى وعينه ووجهه خشية أن يشير الى أو ينادى على
وكنت أصغى أحيانا الى أحاديثهم فتضيق بها نفسى فهى أحاديث
سخيفة مملة لا أول لها ولا آخر فبينما هم يتحدثون عن دودة
القطن مثلا وخطرها هذا العام تراهم يتحدثون فجأة عن جاموسة
فلان وكيف تدر لبنا أكثر من جاموسة غيره . أو عن زوجة فلان
وكيف أنها ستطلق منه ، تراهم فجأة يتحدثون عن ركوبة العملة
الجديدة أو يتحدثون عن مأمور المركز الجديد وسطوته وجاهه ،
تراهم يتحدثون عن بقرة الشيخ عليش وكيف أنها تكاد تلد كل
تسعة أشهر كالنساء ..

أما اذا تحدثوا فى السياسة فكانوا لا ينصرفون الا عند الفجر
بعد صخب وضجيج يؤدى الاذن وتضيق به النفس وأذكر ذات
ليلة ان كان من بين الرواد الشيخ ضرغام وهو من اعيان القرية
ورجالاتها الكبار وكان مشهورا بتضلعه فى السياسة وتصادف
ان كانت جلسته على الكرويته الخشب بجوار النافذة فرأى
مصادفة احدى الصحف التى كانت ترد لسيدى بانتظام باعتباره
شيخ الناحية ، وكان سيدى لا يقرؤها لانه لا يعرف القراءة وكانت
الجريدة ملقاة على الأرض خلف الكرويته فتناولها وما أن قرأها
حتى أعلن بأن الوزارة قد سقطت وأن الوزارة الجديدة قد ألغت
فدهش الجميع ، ومن ثم راحوا يتشاورون فى الأمر اذ لا يد
كالعادة المتبعة من أن ترسل برقية باسم القرية تأييدا للوزارة
الجديدة .. والعمدة غالب عن القرية فى هذه الليلة وهو الذى
يوقع البرقية باسمه وبعد أخذ ورد وتشاور فى الأمر اتفق على
أن ترسل البرقية باسم القرية وبتوقيع اسم العمدة .

ولما اتفقا على ذلك راحوا يتشاورون فى صيغة البرقية وطلوا
كذلك الى وقت متأخر من الليل ، وأخيرا أملى صيغتها الشيخ
الجلجمنى مأذون الشرع وكانت كالآتي :

« أبناء قرية زنجوار البحر شيبا وشباننا ، رجالا ونساء ،
يسجدون لله شكرا اذ أعطى القوس باريا وأسكن الدار بانيها
واقعدكم على كرسي الوزارة » .

واستدعانى سيدى وأمرنى بأن أكون قبل مطلع الشمس فى
المحطة - لأشد التلغراف لمصر - واحضر له الايصال ولم أتم
بطبيعة الحال فى تلك الليلة لأن المسافة كانت بين القرية والمحطة

تزيد على السبعة كيلو مترات .

ولما ذهبت الى تادرس أفندي ناظر المحطة وسلمته البرقية
نظر الى دهنها . وقام من فوره واتصل بسيدى من تليفون المركز .
ولما رجعت الى سيدى والبرقية معى لم ترسل ، عرفت بأن
الجريدة التى قرأها الشيخ ضرغام كانت جريدة قديمة يرجع
تلريخها الى عام مضى . .

وهكذا كانت حياتى فى عمل الجديد . . عمل شاق طول النهار ،
وعمل شاق طول الليل ، حتى ضم جسمى وشعب لونى وساء
حالى الى حد كبير ورحت أشكو متاعبى وآلامى حيناً الى أمى وحيناً
الى الشيخ نوفل ولكن دون فائدة حتى تعلمت بأن الشكوى حتى
ولو كانت الى الأهل والأقرباء لا تزيد المتعب الا تعباً ولا الدليل
الا ذلة ، ولذلك كتبت شكائى ، ولما تقدمت بى الأيام وعرفت
كيف أصنع القهوة والشاى وأجيد صنعهما وقعت فى شر آخر
جديد زادنى آلاماً على آلامى ، فقد أخذت زوجة سيدى تسمى
معاملتى الى حد كبير وتتهمنى بين الحين والآخر بسرقة البن
والشاى ، ولما كنت أدفع عنى هذه التهمة الظالمة كانت تضربنى
ضرباً موجعاً ، ومع ذلك كنت لا أخاف من الضرب بقدر ما كنت
أخاف من اختناق أنفاسى .

فقد كانت زوجة سيدى امرأة بدينة الى حد كبير جداً وكانت
قصيرة أيضاً كالدبة وكانت اذا سارت تنتزع قدميها من الأرض
انتزاعاً وهى تجر خلفها ردفين رجراجين كبيرين كأنهما فى
ضخامتهما وقبحهما وثقلهما أشبه ببرميلين علقا على كفلها وكان
العرق الكريه الرائحة يتصبب منها دائماً . وكانت زوجة
سيدى مصابة بداء النقرس فهى لا تسير ولا تقف الا قليلاً .
ولذلك كانت عندما تضربنى تجاهد نفسها جهاداً مرا حتى
تنهض على قدميها وما أن تنشب أطافرها السوداء الملوثة فى
عنقى وتهم برفع ذراعها الضخمة لتلطمنى ، أو لتدق رأسى فى
الحائط كما كانت تفعل حتى تخونها قدمها وتسقط على الأرض
متدهورة الشحم واللحم ، كما تسقط الجاموسة المذبوحة من
الخطاف الذى تعلق به فيتكوم تحتها جسمى النحيل . وفجأة
أرانى غصت فى بحر من اللحم والشحم المترهل الرجراج والى
أن تنهض من فوقى بعد أن تجمع ذراعاً من هنا وفخذاً كجوال .

الرمل من هناك ، تكون أنفاسي اختنقت وجعلت عيناى واحتقن
الدم فى وجهى وأروح أسعل سعالا كريها حتى أكاد أشرف على
الموت . فى حين تروح هى مفتاةة تموء كالقطط وتوى كالدببة
وهى تسبنى وتلعننى وتسخط على اليوم الذى استجابت فيه
الى رجاء أمى والحقتنى بخدمتها .

وكما يحس الأعمى أحيانا بأنه فى حاجة الى أن يرى السماء
أحسست بأننى فى حاجة الى أمى أشكو لها حالى وأبثها متاعبى
وأطلعها على ما أنا فيه من سوء وعلى ما أصابنى من مرض . .
ولما ذهبت اليها وأقبلت على دارنا فى الليل طالعننى من بعيد
رائحة جميلة حلوة كنت أعرفها ، ولما فتحت الباب لم يخبطنى
فقد وجدت رجوات فى زيارة أمى بعد شهور طويلة لم ترها فيها
ورأيت رجوات لأول مرة ورأيت شيئا جديدا لم أره رأيت شبابا
وجمالا وفتنة وصحة سابقة تتبدى فى كل شىء فى وجهها
المنور الذى ينشق نورا كأنه القمر وفى عينيها الجميلتين وفى
منديلها المطرز بالترتر وخرز النجف ، الذى زانت به الجبين
كما يزين الغمام القمر وفى ثوبها البطاطسا الذى تجمله عدة
رسوم تمثل بعض الأشجار والورود وباقات الزهور التى
راحت تهتز فوق ردفين نزيقين كأنهما جناحاطائر عرييد وتمواج
كالنسيم على صدر ناهد تزينه كرتان جميلتان ظننتهما يومامن
الجوب أو المطاط ورأيت أيضا أشياء أخرى فرحت لها . فرحت
أكثر عندما رأيت رجوات تستقبلنى تماما كما كانت تستقبلنى
أيام أن كنا نلعب فى الحارة هاشة باشة مهللة . وراحت تسألنى
عن حالى فقلت لها كل شىء الا الحقيقة ولست أدرى لماذا فعلت
ذلك ولا من أين جاءنى ذلك الثوب الزائف الذى ارتديته وأنا
أقص عليها هنائى وما أنا فيه من سعادة فى البيت الذى أعمل
فيه وكيف أن زوجة سيدى تحبنى وتعطف على وترعانى ولا تأكل
الا اذا آكلت ، ولا تنام الا اذا أعلت لى منامتى ، وكيف أن سيدى
قد اتخذ منى ابنا له يطمئن اليه ويثق فيه ويودعه أسراره والمؤلم
أن رجوات فرحت لذلك وفرحت له كثيرا جدا حتى أشرق وجهها
وتألفت عيناها فأحزننى ذلك لأنها كانت فرحة زائفة ، كانت
كفرحة الطفل الذى يمتلك قطعة من النقود والوحيد الذى يعرف
أنها زائفة هو أنا ، ولذلك كانت أحزانى بقدر سعادتها تماما

ولما انصرفنا الى الحارة كل منا فى طريقه الى بيت سيده مدت رجوات يدها الى جيبها وأخرجت شيئا متكوراً كالكرة وقمعتلى قائلة وهى تكسر على عينيها الجميلتين وتضحك :
... مخيياها من جمعة علشانك .

فتولتني فجأة ثورة عارمة وغضبت غضبة الرجل الذى مسست كرامته ظننت ان الذى فى يدها كرة من المطاط وظننت ان رجوات مازالت تعاملنى كطفل ، ولذلك قلت لها غاضبا .
... ايه دى ؟ .

وكأنها أدركت كل شئ فقالت ضاحكة وهى تلقى بذراعيها الجميلة على كتفى .
... دى تفاحة يا عيبط ..

ولست أدري لماذا سرنى هذا فجأة وسرنى كثيرا جدا حتى اننى أحسست برغبة فى أن أقبلها ، ولما لم أجرؤ أحسست برغبة أخرى وهى أن اقتسم هذه التفاحة معها لاشركها فى سعادتي ، ولذلك رحت أضغط بكل قوتي على التفاحة بين يدي ولكن فجأة انتابتني تلك الكحة الكريهة وأمسك بتلابيبي ذلك السعال الاجوف البغيض فاخنتقت أنفاسى وجحظت عيناي وأزرق وجهي واحتقن احتقاناً شديدا فأمسكت بذراعيها ورحت أتلوى ككلب مضروب على أم رأسه فاضطربت الفتاة اضطرابا شديدا وانقلبت سحنتها فجأة وقالت بصوت مضطرب وهى تمد يدها عند قلبي وتأخذ التفاحة التى كانت قد سقطت من يدي على الأرض .

... الله .. انت بتف دم ليه يا محمد ؟

... لا مافيش حاجة أصل بس زورى مجروح ..
وسألتني أسئلة أخرى أجبت عليها جميعا ، ولما اقتنعت بكل الاكاذيب التى اختلقتها لها مدت يدها الى وناولتني خمسة قروش لاشترى بها جنزيبلا وبذر كتان أغليته وأشربه عند النوم ..

وكانت هذه أول قطعة نفود امتلكتها فى حياتي لذلك كانت فرحتي بها لا توصف ، ولكي أبقي على هذه الفرحة لم أنفق منها شيئا ولكي احتفظ بها ولا أفجع فيها يوما نقبت ثنية سروالي وخبئتها فى مجرى تكته ، وكذلك احتفظت بها طويلا وطويلا جدا احتفظت بها قرابة ستة شهور كاملة ومع أننى لم أر رجوات

خلالها أبداً لا، منهم في بيت العملة كانوا قد حذروا عليها الخروج.
 إلا أنني كنت أحس بأنها معي وأنها تحبني وتعطف علي وذلك
 كلما مددت يدي وتحسست قطعة النقود التي عقدتها على بطني .
 ومرت بعد ذلك أيام أخرى من العمر ومرت تماماً كالتي
 سبقتها لا إبطاء فيها ولا اسراع فقد ظل كل شيء كما هو الجاموسة
 والثور والرهوانة والحمبر الثلاثة والمنذرة وصنع القهوة والشاي
 وزوجة سيدي ورأسى الذي تدقه في الحائط كلما ضربتني وأنفاسي
 التي تختنق كلما سقطت فوق جسمي النحيل وتخبطت في
 لحمها وشحمها كما يتخبط الفريق في الماء أو كلما داهمتني
 وأنا نائم في العراء تلك الكحة الكريهة وأمسكت بتلابيبي ،
 وظللت كذلك الى أن حدث لي ذات ليلة حادث مروع ، إذ كنت
 أصنع القهوة لسيدى ومن معه كالعادة فنسيت علبة البن بجوار
 الكانون ولم أضعها في الصندوق الخشبي وأقبله عليها ، ولما
 قدمت لهم القهوة ورجعت وجدت العلبة فارغة ، وإلى اليوم
 لا أدري من الذي فعل هذه الفعلة الشنعاء فأسقط في يدي
 وانتابني كرب شديد وخوف هائل ولم يكن مبعثه هذه المرة
 ثورة سيدى أو اختناق أنفاسى إذا ضربتني سيدتى ولكن الصاق
 هذه التهمة الظالمة بى وزاد الطين بلة أن حضر فى تلك الليلة
 سى خليل ومعه بعض الاتباع الذين يسرون فى ركابه دائماً ،
 ولا بد من أنهم سيشرّبون القهوة وقلبت الأمر على عده وجوه
 وتجسم لي الخطر الذى سيلحق بى وبكى وأنا أمد أصابعى الى
 ثنية السروال وأخرج القروش الخمسة التى أعطتها لى رجوات
 واحتفظت بها كالتميمة ، كل ذلك الزمن لاشتري بها بنا بدل
 الذى سرقوه منى وكان دكان الشيخ عطا الذى اشتريت منه
 البن بجوار حارتنا وكان هو الوحيد فى القرية ووجدتني على
 بعد خطوات من دارنا ، فأحسست برغبة شديدة فى أن أذهب
 اليها وأن أرى أمى وأرتى فى أحضانها وأذرف على صدرها
 بعض الدموع وأقول لها الحقيقة التى تجهلها أقول لها أنني
 سأموت ، ولكننى لا أريد أن أموت تحت أرجل الماشية فى الحظيرة
 ولا فى العراء أمام المنذرة ، وإنما أريد أن أموت على صدرها وأن
 تقفل عيني عندما تقفل على وجهها هى لاعلى وجه زوجة سيدى
 وذعبت الى دارنا فى تلك الليلة ولكننى لم أجد أمى وإنما وجدت
 رجوات وهذا ما لم أكن أنتظره رأيتها جالسة القرفصاء فى غرفتنا .

بجوار القرن تتلوى من ألم حاد يكاد يمزق أحشائها والعرق يتصبب من وجهها الذى تعلوه صفرة تشبه صفرة الاموات ، وكانت وهى جالسة فى مكانها تصرخ وتتلوى كما تتلوى الشاة المذبوحة حتى تغدو كالقنفذ لا تعرف له أعلى من أسفل ، وتارة أخرى تنفرد فجأة كالسهم تفرس أسنانها فى خشب الباب مستندة الى ظهره وان لم تسعفها ضلفة الباب لتفرس أسنانها فيها غرستها فى شفاها أو أصابعها ، ووقفت ذاهلا مأخوذاً أنطلق الى هذه الذبيحة التى تنتفض أمام عيني ، ولما سألتها عن وجيعتها تمتت وهى تنسب أطرافها فى الأرض وتصرخ ،
مغص ..

وكانت زوجة سيدى أصيبت ذات ليلة بمغص مماثل فبعثوا بى فى الليل اشترى لها شربة سلفات ، ولما شربتها شفيت واستردت عافيتها ، لذلك أسرعت كالمجنون الى دكان الشيخ عطا ولما رجعت بالشربة فى يدى وجدت باب غرفتنا مغلقا ، ولما طرقتها أجابتنى أمى من الداخل ولكنى لم أسمع ماذا قالت ، لأن صوتها تلاشى ما بين صرخات رجوات التى كانت تصرخ وتتوجع وتستغيث ، ووقفت أنتظر وأنتظر فى قلق لأننى أريد أن تشرب رجوات الشربة لتشفى سريعا .

ولكن الباب لم يفتح فطرقتة ثانية وظللت أنتظر الى أن فتح الباب وخرجت أمى مضطربة مصفرة الوجه يتصبب العرق البارد من كل جراحة فيها وهى تتمتم بصوت مرتعش وتزيل عن ذراعها العاريتين شيئا لرجا لم أتنبه فى الظلام ولم أعرف حتى الآن هل هو نخالة دقيق لوئتها الدماء أم هو رماد قرن الذى زادته الدماء سوادا ..

— ماتت .. ماتت ..

قالت ذلك ثم أغلقت الباب مضطربة وانصرفت تركض الى الخارج ، أما أنا فلم أفعل شيئا ولم أقل شيئا أيضا ، والى اليوم لا أذكر على وجه التحديد الذى حدث وكل الذى أذكره هو أننى لما انصرفت الى الطريق فى الليل ورحلت أقطع أزقة القرية وأجوب طرقاتها فى الظلام صامتا لا أنيس ، تحسست شيئا كان لا يزال فى يدى ، ولما تبينت أنه شربة السلفات مددت يدى وألقيت بها فى الطريق فألقيت معها دون أن أدري بالبن الذى كنت قد اشتريته بقروش رجوات لا تصنع منه القهوة لسى خليل ..



"زوجہ جلاخ"

كان الشيخ مروان في قريتنا أشبه بالمنارة التي تهتدي بها السفن في الليل إذا أظلم الكون ، وعمم الوجود وغضب البحر . وثارت الطبيعة على الناس وحفلتهم من أمرهم عسرا . وكانت داره في قريتنا كعبة السلام ، مداخلها مكروب الأفرج الله كربتة ، وما لجأ إليها مظلوم إلا أنصفه الله ، وما حج إليها مريض ومسحت يد الشيخ على جبهته إلا شفى باذن ربه ، ولم يكن الشيخ رجل دجل وشعوذة في شيء ، وإنما كان رجل علم ودين وتواضع جم . تراه فتحسبه أحد العشرات الذين تقع عليهم عينك في القرى كل يوم . متواضعا في لباسه الأبيض الأنيسق ، وقورا في عبادته السوداء ، مهيبا في لحيته البيضاء التي تشع صفاء وطهرا حتى لكأنها شعاع النور الذي يبهري عينيك ، وكان رجل مرح وفرح وبهجة دائمة ، لا يعرف العبوس طريقه إلى وجهه السمع الضاحك يلعب هذا ويضاحك تلك ويتحدث إلى الناس أحاديث البهجة والسرور البريء . أما إذا خلا إلى نفسه فهو الهائم على وجهه في حب الله تهمهم شفتاه بالفاظ غير مفهومة أو معروفة يتلوها ويرددها على حبات مسبحة الطويلة . وكان يظل كذلك الساعات الطوال دون أن يجزؤ أحد على أن يقترب منه ، أو يخرج من عزلته هذه الهائلة ، وكانت هذه اللحظات التي تنتاب الشيخ كما كانوا يسمونها في قريتنا ، هي لحظات الاتصال . فقد كان الشيخ - أصلا - كما كانوا يقولون . ومعنى هذا في قريتنا أن الشيخ قد كشف عنه الحجاب ، ومن يكن كذلك فهو عندنا في الريف ظل الله في أرضه . ونوره الذي ينتظم اشعاعا وبهجة على الأرض . ولذلك كان الشيخ باعث البهجة في كل شيء : في نفسه وفي نفوس الناس جميعا . ومن هنا كان لا يريد أن تغمره هذه البهجة ؟ ولذلك كنا كل يوم نكاد نستبطي مرور الزمن ، ونستعجل زوال النهار لتحل صلاة العشاء فنلتف حول الشيخ في المسجد بعد لصلاة نستمتع إلى أحاديثه الدينية

التي تترقق صفاء في قلوبنا وتسرى نورا في نفوسنا ، وما أذكر يوما من الأيام التي عشتها في القرية وانقضى النهار فيها إلا غادرنا الحقول نسعى الى القرية في سرعة كبيرة حتى اذا ما بلغناها ذهبنا الى الشاطئ حيث الصفصافة الكبيرة العجوز التي أرخت شعورها على الشاطئ والموردة وأحجارها المصفوفة الموصلة الى الماء . فنفقتسل ونتوضأ ، ثم نذهب الى المسجد حيث يكون الشيخ في انتظارنا فيؤم بنا الصلاة . ثم يجلس بعد ذلك الى مقصورته الخشبية وتلفت نحن من حوله كما يلتف المقد النظيم حول جيد الحساء . نصفي في صمت الى درسه الديني وتعريفه لنا هذه الحياة البنية ، وكيف أنها لم تكن غير متاع وغرور . وكيف أن الرجل الذي يرضى عنه الله هو الذي لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكره . ولا تشغله دنياه عن آخرته . ولا ينير قلبه الا اسم واحد هو اسم الله الذي هو نور السموات والأرض ، (مثل نوره كمسكة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية . يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) ونظلي كذلك الى أن ينتصف الليل أو يكاد ، فننصرف الى بيوتنا راضين بمصفاة نفوسنا من شوائب هذه الدنيا الزائلة وأدران الحياة وما جعلت عليه من غل وحقد وموجدة .

أما الشيخ فيظل في المسجد تهتمهم شفتاه بتلك العبارات غير المفهومة أو المعروفة ، ولا ندري الى متى كان يظل كذلك ، ولكن الذي كنا نعرفه هو أنه كان في كل ليلة قبيل الفجر يري الشيخ بجلبابه الأبيض الاتيق وعبادته السوداء ، وهو يسير بين شجيرات الليمون ونخيلات البلح التي كانت تسبق مدخل قريتنا في الطريق الى الشاطئ حيث الموردة والمصل فيغتسل ويتوضأ ويصلي الفجر .

وكان هذا الطريق الموصل الى النهر طريقا جميلا تحف به جاسقات النخيل وتلفت به شجيرات الليمون ذات النفحات العطرية ، كما تقوم على جانبيه سامقات السرو الشاهقة محتضنة بين فروعها وخلجاتها الاطيار المفردة التي كانت تستقبل الصباح كل يوم طروبة ترسل ألحانها اللذبة بثلث الانشراح .

المشجبة ، حتى أنه ليروع ناظريك ويأخذ قلبك هذا الجمال ، ولا سيما عندما ينبجل الليل وتطلع عبشة الفجر ندية ريانة ترسل اشعاعها القضي على أوراق الشجر فتتساقط نقطها نورا على الأرض حتى لتخالها عروشا من فضة متناثرة حواليك .

وكان هذا الطريق الموصل من القرية الى النهر ، والذي كان يقطعه الشيخ كل يوم عند مطلع الفجر ، يسير في خطاه الوثيدة ببسمل ويحوقل ويتلو أوراده وأدعيته هو نفس الطريق الذي تخترقه نسوة القرية كل صباح يقتسلن ويتطهرن ويملأن جرارهن . وكن يسرن بين شجيرات الليمون أسرابا يحملن الجرار فرحات مستبشرات بمطلع الفجر ، يتحدثن أحاديث الود والصفاء والسذاجة الحلوة البريئة المحبة الى كل نفس ، يخببن في ثيابهن الطويلة الفضفاضة ذات الألوان المتعددة ، ويتهن بجمال طاهر برىء تسر طلعتة العين ، وكثيرا ما كن يلتقن في الغدو والرواح بالشيخ فيفرحن فرحا كثيرا برؤيته ويلتفنن من حوله يلقن عليه تحية الصباح الجميلة . والسعيدة منهن من كانت تلقى عليه أكثر من تحية وتتحدث اليه أكثر من غيرها . أما التي تلتئم يده فهذه هي المحظوظة دون أترابها .

أما التي يتحدث اليها الشيخ أو يمسح بيده الكريمة على رأسها فهذه هي التي ضمنت هناء الدنيا وسعادة الآخرة . . . وكان أكثر قيات القرية حبا في الشيخ وطمعا في عطفه ورضاه ، سكيئة ، ابنة عم حسن الذي كان في يوم ما علافا لماشية العمدة . وهي فتاة يتيمة فقدت أبويها وهي في سن الطفولة فتكفل بها العمدة حينما وتكفل بها الشيخ فتح الله امام المسجد حينما آخر . ثم تكفل بها الزمن بعد ذلك فاتخذت من عريشة الماشية منامة لها كما كان يفعل أبوها . كما اتخذت من جمع الروث من الطرقات سلعة تتعيش منها . فهي تجمعها من الطرقات وتجففه في الجرن حتى اذا جاء يوم الثلاثاء ذهبت الى السوق وباعته بدراهم معدودة هي التي تعيش عليها طوال الأسبوع . . .

وكانت سكيئة في الرابعة عشرة من عمرها حافية القدمين رثة الثوب ممزقته . . . ولكنها كانت ناضجة الانوثة فرع عودها سريعا وأوراق سريعا أيضا . . . وغدت ثماره من خلف الثوب

الأسود تلوح لعينيك من بعيد كاللآلئ تلتصع في الليل ...
وكان أجمل ما فيها نغرها الضاحك دائما حتى لكانه المصباح
الذى لا ينطفئ أبدا .. وقد زانها فيما زانها بفمازتين جميلتين
بتضوع غيرهما كلما ضحكت .. كما تزين وجهها بعينين
كبيرتين كعيون البقر يميلان الى الزرقاء ويشيعان على الوجه
نورا فيزيده بهاء وقتنة ..

وهذه الفتاة اليتيمة الجميلة هي التي كان يهش الشيخ
لطلعتها ويطرب لحديثها .. وهي التي كانت تحظى دون أترابها
بلثم يده كل يوم .. وتسير في ظله كل صباح الى أن يبلغ المصلى
على الشاطئ ثم تنتظره حتى يخلص من صلاته فتعود معه
حاملة جرتها ..

حتى استبشر الناس الخير العميم من وراء هذه الفتاة التي
خصها الشيخ برعايته وأنزلها من نفسه هذه المنزلة
السامية .. حتى أن بعض الناس في القرية ولا سيما أهل
الصلاح منهم بدأوا يفكرون في الزواج منها تبركا واستمشارا
وقد فاتح البعض فعلا الشيخ في هذا ولكن الشيخ لم يقطع
برأى .. الى أن جاء يوم ذهب الشيخ فيه الى الشاطئ فلم
يجد سكينه كالعادة تنتظره فأتم صلاته وعاد الى القرية يسأل
عنها فلم يهتد الى جواب لأنه أحس في هذا اليوم أن شيئا ما
ينقصه .. ولكن ما هو هذا الشيء انه لم يعرفه .. وقد أحس
به أيضا في اليوم الثاني عندما ذهب الى الشاطئ فلم يجد
سكينه وانقضت ثلاثة أيام لم تظهر فيها سكينه وقضاها الشيخ
قلقا مؤرقا وقد أكربه هذا القلق كثيرا فهو كان يظن كل شيء
وينتظر من هذه الدنيا كل شيء الا هذه الوحشة التي اكتنفت
قلبه هذه الأيام الثلاثة .. ولولا فضل من الله على الشيخ لظن
بنفسه الظنون .. فقد أرجع وحشته وقلقه الى خوفه على ذلك
الحصل الوديع الذى لاحارس له اذا ما ضل يوما في طريق
الذئاب .. وما أكثر الذئاب في هذه الدنيا وما أندر الحمل الذى
يعرف كيف ينجو من أنيابها ..

غير أن هذا التأويل الذى أطرب قلب الشيخ حيناً وارتاحت
له نفسه تبدد سريعا عندما حرم الشيخ من طلعة سكينه على
الشاطئ مرة أخرى وراح الشيخ يسأل كما كان يسأل في

المرّة السابقة .. وراحت الوحشة تلم به مرّة أخرى ولكنها هذه المرّة أكثر عنفاً وقسوة وأشدّ مرارة على قلب الشيخ .. وما أن فرغ الشيخ من صلاته في ذلك اليوم وعاد الى بيته ودخل غرفته التي اعتاد أن يفلقها عليه - يتهدّفيها ويتعبّد - حتى انهالت الدموع من عينيه وراحت تتقاطر كنقاط الماء النقي على وجهه المضطرب ولحيته البيضاء المرسلّة على صدره الخافق وقلبه المعبّد .. فقد أحس الشيخ في ذلك اليوم بالحقيقة المرّة تتلمس الطريق الى قلبه الطاهر وتمسه في رفق مرّة وفي غير رفق مرّة أخرى .. فعرف أنه أحبّ سكيّنة حباً دنيوياً لا غناء له عنه .. ولا حيلة له فيه .. وعرف مع ذلك أيضاً أشياء أخرى كثيرة أزعجته ..

عرف أن مجرد لقاء سكيّنة بعد اليوم أصبح حراماً .. لأنّ النظرة أصبحت غير خالصة .. انها لم تكن لله واليتامى وأبناء السبيل كما كانت من قبل .. انها اليوم لغرض في نفس الشيخ وياله من غرض .. وأزعج الشيخ أكثر ما أزعجه .. أن نظراته السابقة للفتاة كانت ولا شك غير خالصة ..

انها كانت لرغبات تعتمل في القلب ولم يستطع العقل أن يعرف كنهها في أول الأمر ، انه كان مع هذه الفتاة كالطفل ، ان الطفل عندما يرضع ثدي أمه يستشعر لذّة كبيرة تفيض عليه وعلى كيانه الصغير وعلى لذّة الاشباع نفسها فهل يعرف مبعث هذه اللذّة ؟ انه والأسفاه لم يعرفها ولا حتى بعد أن يكبر ويتفتح جسمه لأشياء جديدة عليه ..

وهكذا كان الشيخ لم يكن يظنّ أبداً أن الفرحة والبهجة والهناءة التي كانت تغمر نفسه وكيانه كله ، كلما التقى بسكيّنة عند الفجر ، مبعثها هذه الحقيقة الدامية .. وهذه الرغبة الزائلة وهذا الجنون الذي لا حد له ..

عرف الشيخ هذا كله وعرف معه أيضاً أن قلبه المعنى أصبح لا غناء له عن لقاء الفتاة كل يوم .. بل لا غناء له أيضاً من الاستئثار بالفتاة والاستحواذ عليّهما مهما كلفه الأمر .. وفكر الشيخ وفكر طويلاً وأجهد. هذا التفكير المرير عدة ليالٍ قضاهما في محرابه . يبكي ويتوجع ويبتهل الى الله أن يكون له عوناً .. وهكذا مكث الشيخ عدة أيام لا يرى أحداً ولا يراه أحد الى أن خرج على الناس ذات يوم نبأ كبير وهو أن الشيخ ولي

الله مروان قد تزوج اليتيمة سكيئة ..
ولم تستقبل القرية هذا النبا بشيء من الدهشة كما كان
ينتظر .. ولم تستقبله أيضا بشيء من الاستنكار كما كان
يتوقع وإنما استقبلته راضية عنه فرحة به مطمئنة إليه ، فيه
قد تحققت مظنة أهل القرية وما كانت تهمس به سرا وهو أن
هذه الفتاة اليتيمة كانت على صلة بالله محبة إليه مقربة منه
ولذلك عطف عليها الشيخ واصطفاه دون النساء بالود والقربى
ومن تكن كذلك فلا بد أن يحظى بها الشيخ ولا بد أن يتزوجها
فما كان لمسلم أن يتزوج غير مسلمة ، وما كان لصالحة أن
ينكحها غير صالح ..

وهذا فضل من الله على الفتاة كبير .. وفضل منه أيضا على
الشيخ الذي فقد زوجته من عشرات السنين بعد أن أنجب منها
غلاما أسماه خليلا هو الآن ابن القرية البكر وفتاها المولى ،
وزينة الشباب فيها ..

وطرب الشيخ لهذا التفسير الذى فسرت به القرية هذا
الزواج طربا شديدا وعده نعمة من الله عليه .. وشعر بهذه
النعمة السابقة بعد الزواج بأيام .. وبعد أن أصبحت سكيئة
شيئا جديدا لم يكن ينتظر أنه سيكون .. فقد وجدت فى كنف
الشيخ من الأمن والطمأنينة ورفاهة الحياة ما أنساها أيام
الشقاء الطويلة التى قضتها فى التشرد بين العرى والجوع
والتسكع فى الطرقات والازقة تجمع الروث من تحت أرجل
الماشية ..

وكان الشيخ ميسور الحال يملك فى القرية ثلاثة أفدنة تدر
عليه الخبز الكثير وذهب هذا الخبز كله للفتاة حتى أمنت من
خوف وأطمعت من جوع وتفتحت عن زهرة جميلة ذات فتنة
ورواء غدت رائحتها تعبق وتملأ البيت عطرا ..

وراح الشيخ يتطلع الى هذا الجمال وينعم به ، وينظر الى تلك
الشجرة الوارفة ذات الظل الظليل وجناها المستطاب وقطوفها
الدانية وثمارها التى نضجت وآتت آكلها ، فينحلب لسانه فى
النهار ، وينحلب لسانه فى الليل وظل كذلك يتم بهنمه
السعادة أياما لا يعرف على وجه التحديد أطالت هى أم قصرت
وإنما الذى نعرفه نحن فى القرية .. أنها كانت كأيام الربيع

لا تلبث أنفاسه الندية أن تهب على الحماثل فتفتتح الأزهار
وتتضوع شذاً وعطراً حتى تلحق بها لحفات الصيف فتحرقها ٠٠
فقد أحس الشيخ أن هناك شيئاً كشاً يبب الهم يكتنف
قلبه ويحزن فؤاده ٠٠ وفكر جيداً في هذا الشيء وتدبره بعقله
وحكمته فوجده أكثر من أن يقضى عنه أو يسكت عليه ٠٠ فهو
قد تورط من غير شك في هذا الزواج الذي حمل شيخوخته
المتعبة مالا تحتمله أو تقدر عليه ٠٠ وهو قد تورط أيضاً في
أنه قد تزوج فتاة صغيرة يذكي الشباب جدوتها دائماً ويجعلها
لا تفكر في غير الماء الذي تتبرد به ٠٠ وهو قد تورط أكثر من
ذلك بأن تزوج فتاة جميلة جمالا يسر العين ويجعلها تتطلع إليه
وتتاهت عليه تهافت الفراشات في الليل على مصباح من النور
وهو قد تورط بعد ذلك فيما يشبه الائم اذ جمع بين النار
التي تلتهم دائماً والماء الذي يطفئها في صعيد واحد ٠٠

فأبنه خليل شاب والفتاة شابة ٠٠ والشباب للشابة كما
يقولون ٠٠ أو كما يجب أن يقولوا ٠٠ وليس الفتى معصوماً
وليست الفتاة من غير البشر ٠٠ وهو ان طلقها وسرحها
فسوف يتورط في الائم الأكبر اذ سيسرح زوجة لم ترتكب
ائماً أو تقتزف ظلماً ٠٠ ولم يرض الله لها بغير الأكابر والأعزاز
والمحبة والقول الجميل ٠٠ وهو ان هاجر بها الى دار أخرى
فسيظلم ابناً من غير ذنب ويجعل الناس في القرية يقولون
عليه ويظنون به الظنون ٠٠ وليس أثقل على الزوج من أن تظن
به الظنون ٠٠ وليس أثقل على قلب الابن من أن لا يطمئن إليه
أبوه ٠٠ وان جعل ابنه يقطن في دار غير هذه الدار فلن يغير
هذا من الحال شيئاً ٠٠ لأنه لن يقطع السنة الناس ٠٠

وكان الشيخ يفكر في هذا قلقاً محزوناً كاسف البال مغمض
العينين وهو يجلس في المسجد ذات يوم مع صديقه وصفيه
الشيخ بسيوني مأذون الشرع في القرية ، ولاحظ الشيخ
بسيوني على الشيخ هذا الهم الذي يعاينه فسأله فلم يجب ٠٠
ولكن بعد لحظات فتح عينيه المتفلتين ، وقال في صوت حزين
وهو يعبث بأصابعه المضطربة في لحيته ووجهه الحزين :

— اني أفكر في زليخا يا بسيوني ٠٠
فلم يفهم الشيخ بسيوني شيئاً وقال في دهشة وهو يحدث

فى عينيه :

- من زليخا ياشيخ مروان ؟ ..

- ابنتك ..

- ما بها ؟ ! ..

- انى أفكر فى أن أعقد لها على خليل ..

فقال الشيخ بسيونى ضاحكا وهو يتحسس مصحفه صغيرا
كان فى يد الشيخ : ..

- طننتك تفكر فى شيء ذى بال ! ..

وأغمض الشيخ عينيه وقال :

- هذا ما يشغلنى .. انى أريد هذا وأريد أيضا أن أعجل

به ..

فقال الشيخ بسيونى وهو يلقى بنظره بعيدا وكأنه يتذكر
شيئا مؤسفا :

- وهل يرضى ابنك ؟ ! ..

- وما الذى فى الأمر لا يرضيه ؟ ..

- انه فتى قد وهبه الله مسحة من الجمال وصحة وشباب ..

- وزليخا ؟ ! ..

فلم يجمله الشيخ يتم وقال :

- ليست العبرة بالجمال والشباب يا بسيونى ، انهما

عرضان زائلان من أعراض هذه الحياة الدنيا .. ان زليخا وان

كان الله لم يهبها من هذا الجمال الذى تتحدث عنه .. فقد

وهبها الكثير من راحة العقل وطهارة القلب والخلق الرضى ..

وهذا لعمري غاية ما يطمح اليه مؤمن ..

- ثم أغمض الشيخ عينيه حينما تم تمتع :

- ولعلك معى فى أن خليل من الذين قد مس الايمان

قلوبهم ..

فقال الشيخ بسيونى :

- ولكن ...

فقاطعه الشيخ وهو ينهض معه ويقادر المسجد وفى يده

مصحفه الكريم :

- ولكن الحيرة فيما اختاره الله ..

ولم تمض أيام حتى زفت زليخا ابنة الشيخ بسيونى مأذون

الشرع فى القرية الى خليل ابن القرية البكر وفتاها المملوح
وزينة شبابها ..

وكما استقبلت القرية من قبل زواج الشيخ من سكينه فرحة ،
استقبلت زواج ابن الشيخ من زليخا فرحة أيضا ..
وكان اكثر الناس فرحا بهذا الزواج هو الشيخ نفسه الذى
جاء بهذه العين اليقظة الساهرة كعين كل زوجة واقامها حارسا
على بضاعته فى الدار .. تدفع عنها كل سوء وتحول بينها
وبين ما قد يغري الفراشات بها .. وهى بذلك لم تكن يقظة
حذرة من أجل الشيخ لانها حريصة عليه وعلى بضاعته وانما
ستكون يقظة حذرة من أجل نفسها حذرة على بضاعتها هى
تخاف عليها حتى من النظرة العجلى أو البسمة العابرة .. وما
جعل الله من قلبين فى جسد وما جعل أيضا من زوجة ترضى
عن غير نفسها بديلا ..

وعلى هذا مسست الطمأنينة قلب الشيخ وعادت اليه بهجته
كما راحت تلك الابتسامة النورانية التى كانت تتألق صفاء
تعود من جديد ترتسم على وجهه ، كذلك أيضا فرح بهذا
الزواج وطرب له طربا شديدا واستقبله راضيا عنه كل الرضى
فرحا به الفرح كله .. خليل وسكينه .. أما الوحيدة التى لم
ترض عنه ولم تطرب له ولم تستقبله فرحة ولا حتى شبه فرحة
فهى العروس نفسها التى بدأت تلحظ منذ ليلة الزفاف أن هناك
خيوطا سوداء قاتمة بدأت تتجمع فى سماء حياتها الزوجية ..
وكانت كلما رأت خيطا من تلك الخيوط الحالكة المظلمة وأمعن
فيه ، أحس قلبها شيئا مخيفا وظلت كذلك ترى خيطا وتجمع
خيطا الى خيط حتى وضحت لها فى النهاية الحقيقة المخيفة فى
السر من زواجها هذا المفاجئ من ابن الشيخ .. ورغبة الشيخ
فى هذا الزواج وتلفه عليه .. وأنه لم يجرى بها الى هذا
البيت الا لتكون حارسة أمينة على بضاعة ثمينة يعتز بها
الشيخ اكثر من أن تكون زوجة سعيدة لابنه ..

وما أن تحققت الفتاة من هذا كله حتى أخذها روع شديد
وانتابها مايشبه الفيض والحقد الذى يحرق النفوس
ويغري قلوب الناس ..

وكان هذا الحقد على كل شئ ، على الناس ، وعلى الشيخ ،
وعلى زوجه ، وعلى ابنه ، وعلى نفسها التى قبلت هذا من أول

الامر .. ثم عاد هذا الروح فأخذها مرة أخرى أخذاً شديداً وذلك عندما تجمعت لعينيها تلك الحياض مرة أخرى فرأت هولا كبيراً كاد ينهلع له كيائها : . فقد وجدت هذا الحارس الذي جاء به الشيخ ليحرس له بضاعته انما جاء بعد فوات الاوان وبعد أن قاض النهر وتدفق ماؤه نحو تلك النار التي كلما اشتعلت أطفأ جذوتها وما أن عرفت زليخا ذلك ذات يوم عن طريق المصادفة حتى دهمتها الفاجعة وغلبتها على أمرها .. فانزوت في غرفتها المظلمة تذرف الدموع من عينيها على ثوب العرس الذي لم يبيل بعد والحضاب الذي ما زالت آثاره عالقة بالكفين والأصابع العشر حتى هزل جسمها وشحب لونهما وراحت نهياً لأمراض كثيرة ..

كل ذلك دون أن يعرف أحد في البيت سبب هذه الأحزان ولا مبعث هذه الآلام .. لا زوجها العاشق المقتون ولا زوجة الشيخ المحبة الوالدة .. ولا الشيخ الذي اطمأن كل الاطمئنان الى فعله ..

وزارها أبوها الشيخ بسيوني ذات يوم فهاله ما رأى .. وما أن سأل ابنته عن العلة التي تعانيتها حتى ارتمت في أحضانها باكياً وألقت برأسها المحموم على صدره معولة .. وراح الأب في ألم شديد يجفف لها دموعها ويسكن من روعها ويسألها ولكنها لا تجيب ويريد أن يعرف ولكنه لا يعرف ..

— أيسىء اليك زوجك يا ابنتى ؟ ! ..

— أكذب ان قلت أجل ..

— أتسىء اليك سكينه يا ابنتى ؟ ! ..

— انها تترضانى كما تترضى الأم طفلها ..

— أيسىء اليك الشيخ ؟ ! ..

— لا ..

— الزوج يحبك والشيخ يرعاك .. وزوجه تترضاك .. اذن

فمن ذا الذى يسىء اليك ؟ ! ..

— تسىء الى دنياى يا أبى ..

قالت ذلك وانهالت الدموع من عينيها وراحت تنسكب غزيرة دافئة على صدر الوالد الحزين الذى راح يجففها لها وهو يربت على كتفها متلطفاً ويسأل :

- قولى .. قولى يا ابنتى ..

فالتجعت عينها الفتاة واتسعت حدقتهاهما ، وجعلت
ججوطا مخيفا حتى غلت كميني لبؤة تحترق كبدها .. وقالت
بصوت خافت لم تسمعه أذنا الرجل :

- أقول ! .. أقول ماذا يا أبى ؟ ..

ثم ابتسمت ابتسامة عريضة مفاجئة وراحت تطمئن الأب
كذبا حتى اطمأن وانصرف ..

وما أن ودعته عند الباب ورجعت الى غرفتها ، حتى رجعت
المرأة الى نفسها وإلى الغيرة التى تأكلها أكلا .. رجعت الى زوجها
الذى يهيم بامرأة أبيه .. وإلى سكينه التى تفوقها جمالا واغراء
لا حد له .. وإلى الشيخ المنكود الذى تحترق الدنيا من حوله
دون أن يدري .. رجعت الى هذا كله وتأملته طويلا بيد أنها
هذه المرة لم تتأمله بعين زوجة جميلة مغلوبة على أمرها ..
ولا بعين امرأة قدر لها أن يكون هذا نصيبها من دنياها ..
ولكن بعين أنثى تريد أن تثار لكرامتها كزوجة ولنفسها كأمرأة
ولشيخ ساذج طيب القلب يريدون لعرضه النقى أن يتمرغ في
الوحل .. ومن ثم اتخذت من تلك العيون الساهمة الواجحة
الحزينة عين هرة حذرة يقظة لا تغفل فى الليل ، ولا تغفل فى
النهار ومن ثم راحت تضيق الحناق على العاشقين المفتونين ولم
تترك لهما فرصة ولا حتى لالتقاء النظرات .. فان أقبل خليل
فهى التى تفتح له الباب وهى تلازمه وتقضى له حاجاته جميعا
حتى يتناول غداءه ويخرج ، أو يتناول عشاءه ويستغرق فى
النوم .. فتسهر هى على رأسه حتى الصباح .. وان خرجت
سكينه من غرفتها فى الليل أو فى النهار فترى زليخا أمامها
فجأة فلا تعرف هل هبطت عليها من السماء أم خرجت اليها
من الأرض ، حتى اللحظات التى تكون سكينه فيها فى غرفتها
مستغرقة فى النوم ويكون الشيخ فى المسجد وخليل فى الحقل
فهى الحارسة لباب الغرفة بعينها البقظتين حتى لكان تلك
العيون هى المزلاج الذى أغلقت به الغرفة وأحكم اغلاقها ..

وهكذا كانت كلما امتلأ النهر وانهارت جسوره وتدفق
ماؤه فى حزم وعزم غير عابئ بما يعترضه من صخور .. أقامت
هى من نفسها سدا منيعا لا تنفذ اليه نقطة ماء واحدة لا من

امامه ولا من خلفه حتى الزوج ضاق بها ضيقا شديدا وراح يسومها من المهانة مالا قبل لزوجة باحتماله فلا تعباً بما تلاقى بل تستقبله راضية به ..

وكذلك كانت سكينه أيضا كلما ضاق بها الحال وحز بها الأمر .. وقتلها الظمأ وأحسست بالسنة النار تحرقها وتكاد تحيلها الى رماد ... كادت لزيخا كيدا عظيما ..

تكيد لها عند الشيخ ، وتكيد لها عند الزوج ، وتكيد لها عند الناس جميعا .. وتكيد لها أيضا عند نفسها .. بأن تقف سكينه في المرأة طوال اليوم .. وتتهرج وتكشف جمالها وتفصح عن فتنها وتعبر عن ذلك كله بأغنيات رخيصة مبتذلة تترنم بها أمام المرأة .. تدل على تدله العاشق فيها وحبه لها وغرامه بها ذلك الغرام الذي تعبر عنه وتدل عليه لحظات الوصل وساعات اللقاء ..

وكانت زليخا ترى هذا وتستمتع الى هذا كله فتصبر عليه كما يصبر الميكروب على الأذى الذي يعتمل في قلبه .. لا تملك من أمرها شيئا. ولا تملك من أمر هذا الأذى شيئا .. وكل الذي كانت تملكه هو أنها اذا نظرت الى نفسها مصادفة في المرأة ورأت وجهها الذي شحب وبرزت عظامه وغدا مصفرا كوجوه الأموات ذرفت الدموع سرا بينها وبين نفسها حتى لا تقرح فيها سكينه اذا رأتها باكية أو حزينة ..

وظل الأمر على هذا الحال ، عاشق يرح به العشق وعاشقة يقتلها الوجد ..

أما الشيخ وزليخا فكلهما غارق في الظلام ، تكتنفه الظلمة وتطبق عليه وكل ما هنالك أن الشيخ لا يرى شيئا وأما زليخا فتري كل شيء .. الى أن حدث ذات ليلة أن أقبل خليل من الخارج وكان في تلك الليلة فرحا مرحا على غير العادة .. وتصادف عند دخوله أن كانت سكينه مقبلة من الداخل على غرفتها فمدت يدها اليه وصاقتها في شوق زائد أقصحه عنه وجهها الذي تورد وقلبها الذي يخفق ونظراتها التي ترنو اليه في اضطراب وكأنها تسر اليه شيئا سريعا .. أو كأنها تريد أن تلوذ به وترتمي في أحضانه ..

وتسمرت قدم الشاب وهو ينظر اليها ويفتقر من جمالها

بعينيه .. هذا الجمال الذى طالعه فى هذه الليلة كافتن ما يكون
جمال الانثى فى عين الذكر .. وهم أن يسر اليها شيئا ولكنه
اكتفى بأن ضغط على يدها فى رفق وتركها وانصرف سريعا
الى غرفته ..

وفى راح يداعب زليخا ويلطفها ويلاعبها على غير العادة
.. ثم قضيا معا لحظات .. ولما عرف أنها اطمأنت اليه .. طلب
منها أن تعد له ماء ساخنا ليستحم فانصاعت لامره .. وكان
عليها أن تصعد الى السطح لتشعل - الفرن - وتعد له ما أراد
والصعود الى السطح أمر شاق ولاسيما فى الليل ، لأن الصعود
اليه لا يكون الا على ذلك السلم الخشبي المتآكل الذى تنقله
معه اذا ما صعدت الدور الثانى حيث الغرفة التى أعدها
الشيخ لخلوته ، وتنقله معها أيضا حيث السطح نفسه .. الذى
عليه الفرن مسورا بسور خشبي كما هي العادة عندنا فى الريف
وقامت زليخا المريضة المتعبة بكل هذا فى الليل بيد أنها
وهي أمام الفرن تشعل النار فى قلبه أحسست فجأة أن شيئا
مخيفًا يساورها ويطبق على أنفاسها ..

وما أن أحسست بذلك الشيء حتى ارتعدت فرائصها وارتدت
سجنتها وجحظت عينها جحوظا مرعبا مخيفًا ومن ثم تركت
النار تشتعل فى قلب التنور وانقلبت سريعا تنشب أظفارها
فى ذلك السلم الخشبي المتآكل وتتسلل من فوقه هابطة كما
يتسلل اللص الحذر فى عتمة الليل ، وما أن أقبلت على غرفة
زوجها ودفعت بابها فى عنف حتى ارتدت هلعة جزعة مجنونة
تدور على عقبيها حاجبة عينيها بيديها وهي تصرخ صرخات
مدوية تهتك حجب الصمت فى الليل ..

وخرج الشاب خلفها سريعا خائفا مضطربا وخرجت معه
الشابة أيضا سريعا خائفة تضطرب وأسرعت زليخا الى باب
الدار لتفتحه وتخرج منه الى الطريق لتصرخ وتجمع الناس
فألقتهم مقلقا فارتدت كالهرة المجنونة الى السلم الذى هبطت
منه منذ لحظات .. وهي تصرخ نفس الصرخات المدوية وصعد
الشاب خلفها سريعا ومعه الفتاة ليحولا بينها وبين هذا الصراخ
الذى سيجمع الناس ويكشف عن الحقيقة ويظهر الجرم الذى ما
بعده جرم .. ولحقا بها على السطح وحاولا أن يكتما أنفاسها

حتى تقلع عن هذا الصراخ الذى من خلفه الفضيحة الكبرى
والجزى العظيم ..

وأخذت زليخا موجة من الجنون أطبقت عليها من كل جانب
كما أخذتها نفحة من القوة لا تعرف من أين أتت اليها فراح
كاللبوة المسعورة تدفع عنها غريمتها فى عنف .. وغريمتها
تدفعها فى عنف أيضا .. وتنشب أظفارها فى عنق رجلها
الحائث وهو ينشب أظفاره فى عنقها ثم يلطمها فى عنف فتسقط
عند قدميه ولكنها سرعان ما تنهض ناشبة أظفارها مرة ثانية
فى الاثنين ..

وفجأة زلت قدم ، وهوى جسم من الأجسام الثلاثة الى
الأرض فأحدث سقوطه دويا هائلا هو تلك البيوت التى تجاور
دار الشيخ فى الليل وكان الشيخ لحظتها مقبلا من المسجد
بعد صلاة العشاء مع نفر من المصلين ورأى الشيخ بعينه ذلك
الجسم الثقيل وهو يهوى من فوق سطح داره فى الليل فأسرع
اليه وارتمى عليه فاذا به زليخا غارقة فى لجة من اللماء التى
تطفح من فمها ومنخاريها وتندفق بغزارة كما تندفق أيضا من
جرح كبير غائر فى قلب الجمجمة .. فارتاع الشيخ وارتعد
مرتعشا وهو يلقي بصره عليها ويسألها عن فعل بها هذا ..
وتمت الفتاة مغمضة العينين ..

- هي ..

وقال الشيخ لاهثا :

- هي من ؟ ..

فغمضت الفتاة وهى تشق شففتيها المرتعشتين وتمتمت :

- هي ..

وصرخ الشيخ صرخة مقزعة وهو يهزها فى عنف قائلا :

- زوجتى ؟ ..

ففتحت الفتاة عينيهما المحمرتين وهى تحتضر وراحات تتفرس
فى وجوه الذين حولها وفى وجه الشيخ الذى أريدت مسحته
وانقلبت الى سواد كريحه مغبر وتمتمت :

- لا .. انها زوجة رجل آخر ..

وأغمضت عينيهما ..





كان الوحيد الذى تعرفت عليه فى الحى الجديد الذى قطنت فيه ، هو قناوى بائع الفاكهة المتجول ، الذى يقف بعربته الصغيرة ذات العجلتين عند السبيل على رأس زقاق المرعشلى المتفرع من حارة الركبة خلف مسجد السيدة زينب ..

وقد تعرفت عليه أول ما تعرفت فى المسجد اذ كنت ذات ليلة بعد صلاة العشاء أجلس بجوار حائط الضريح أستمع الى الشيخ السنتريسى رحمه الله ، وهو يلقي علينا درسه الدينى بعد الصلاة ، فاذا برجل بجانبى يمد لى يده ويصافحنى فى حرارة زائلة وهو يقول :

— أهلا وسهلا — حضرتك شرفت الزقاق ونورت الحارة . وكأنه لاحظ على ارتباكى ونظراتى الحائرة التى تتفرس فى رجل يعرفنى ولا أعرفه ، فغير لهجته سريعا وقال :
— أنا قناوى الفكهانى ، وقد رأيتك مرارا تدخل الحارة فسألت فقيل لى أنك الساكن الجديد الذى قطن حديثا فى منزل الست أم شوقى ، وهذه فرصة سعيدة لا تعرف عليك وأوسع نفسى فى خدمتك ..

فشكرت له هذه التحية ، وإن كان اسم أم شوقى هذا الذى أسمعه لأول مرة قد شغلنى .

فقلت :

— من أم شوقى ؟ اننى أقطن فى دار الشيخ بسيونى .

فقال :

— ولكنها فى الحى مشهورة بدار الست أم شوقى ، كانت من أولياء الله الصالحين وتوفيت من سنتين رحمة الله عليها .. الفاتحة لروحها الفاتحة ..

ورأيتنى أقرأ معه الفاتحة ، كما رأيتنى بعد الصلاة أسير بجانبه فى الحارة نخترق الطريق الى الزقاق وهو يتحدث الى فى سذاجة حلوة محببة ، عن تاريخ حياته الطويل وكيف نزع من البدرشين من عشرين عاما واشتغل عاملا فى ميناء الاسكندرية ، ثم عجانا فى مخبز كبير فى القاهرة . ثم حطت به الرحال بعد ذلك فى حى السيدة يبيع الفاكهة على عربته الصغيرة وكيف أنه



تزوج وله الآن ثلاثة أولاد مازالوا أطفالا يلعبون في الحارة ٠٠ ثم حدثني بعد ذلك عن أشياء أخرى كثيرة لأذكرها ، حدثني عنها جميعا في اخلاص وصدق كما لو كنا أصدقاء قديما فأعجبتني هذه الصراحة ، وهذا الصفاء الذي يبلور نفوس هؤلاء السائلة من الناس ويطمئنهم الى الغير هذا الاطمئنان الساذج البريء ، وكنا قد بلغنا الزقاق فوجدت عربته الصغيرة بجانب الجدار عليها عبة أسفاط من الجريد بعضها ملقى فارغا والبعض الآخر على العربة به بقايا من فاكهة عطبة ، وقد اختلط بعضها ببعض ، فانت لا تفرق بين الجوافة والبلح ، كما رأيت طفلتين صغيرتين قد استلقتا على الطوار بجانب العربة واستغرقتا في نوم عميق بعد أن تداخل جسماهما كما يتداخل جسم الفتى في بعضه ويتكور ويلوح لمينيك في الظلام كالكرة ، ورأيت طفلة تالفة في ثوب خلق ممزق تقف بجوار العربة تذب بيدها الصغيرة على الفاكهة ، بمذبة متأكلة ، فتبينت وجهها على ضوء المصباح الزيتي المعلق في مقدمة العربة ينبعث منه عامود من الدخان الأسود ٠٠ وما أن رأتنا الفتاة حتى تقدمت من أبيها ومدت له يدها ببعض القروش الملوثة والملايم الصدئة وهي تقول :

- نصف أقة جوافة ٠٠ ورطل بلح ٠٠ ثم مسحت الفتاة بيديها شيئا لزجا كان على جفنيها وقالت :

- ونظاكة بنت الشيخ عطا أخذت نصف أقة جوافة على الحساب ٠٠

فتناول قناوى النقود من يدها ووضعها في جيبه وهو يقول له :

- اتفضل أعمل لك شاي ٠٠ فشكرته وأردت أن أرد له هذه التحية بأن أشتري شيئا من فاكهته هذه العطبة فقط لأنقه شيئا ، ولكني لا أجعله يظن الى قصدي تقدمت من العربة ونظرت الى الجوافة وامتدحتها وقلت وأنا أضع يدي في جيبى :

- أقة جوافة وثلاثة أرطال بلح ٠٠ وما أن قلت ذلك حتى تهلل وجه الفتاة ولعلت غيناها لمعانا خاطفا وهي تركز في فرحة كبيرة نظراتها على يدي التي سأخرج بها النقود ، ولكن سرعان ما تلاشت هذه الفرحة عن وجه الفتاة

عندما سمعت والدها يقول لى وهو يتفرس بعينيه فى الجوافة العطبة .
والبلح الحامض :

- الجوافة ماتنفعكش الليلة ، وكمان البلح ..
وكنت سأوافقه على مايقول ولكن الحسرة التى ارتسمت على وجه الفتاة خوفا من ضياع هذه الصفقة جعلتنى أصر على طلبى ، ونقدته الثمن وانصرفت الى الطريق أتلفت حوالى ، ولما لم أجد أحدا وكانت رائحة البلح قد ضايقتنى ألقيت بما فى يدي الى جانب الحائط . ومن ثم ذهبت الى بيتي أفكر فى أرزاق الناس وكيف وزعت عليهم ، وهذه الفاكهة العطبة والذين يأكلونها ، وهذا الرجل العملاق قناوى الممتلئ قوة وفتوة وصحة جيدة وكيف ضاقت به الحال حتى أنه لم يجد اللقمة الا بين هذه القاذورات كما تجد الدجاجة حبة الحنطة مطموسة فى الوحل ، وكنت كلما مررت بهورأيت عربتهوصغاره الثلاث يقضين نهارهن ويليلهن بجانبها كما تقضى القطط الضريبة حياتها فى العراء .. ويلتقطن مايتساقط منها على الأرض كما يلتقط الكلب المقعد أمانك ما تاقذف به من نفايات الطعام . أحسست بحبى الزائد لهذا الرجل حتى أصبح لاغناء لى عنه ، فأنا أمر عليه فى الضدو وأمر عليه فى الرواح ، وأجلس اليه فى المسجد أتحدث اليه ، ويتحدث الى . الى أن مررت عليه ذات يوم ووقفت أتحدث اليه كالعادة وأصغى الى ضحكاته الندية ونكاته الطريفة ، فقد كان دائما يضحك ويداعب ، فاذا به فجأة يقول لى ضاحكا :

- ألك فى أن تقرضنى عشرة قروش ؟

وظننته يمزح فقلت :

- ماذا تعمل بها ؟

فارسلى ضحكة أخرى استطاع أن يخفى بها شيئا كان قد

ارتسم على شفتيه وقال :

- هذا سؤال محرج !

- أيجرجك أن أسألك لماذا تقرض ؟

فنظر الى مبتسما وقال :

- ولماذا يقترض الناس ؟

فشعرت بشئ من الحجل وأنا أضحك وأقول له :

- لأنهم فى حاجة الى الاقتراض !

وما أن ملحت له يدي بالقروش العشرة حتى ناولها الى ابنته وهو يربت على كتفها ويثبت لها بين يديها قرطاسا من البلح ويقول :

— خمسة قروش عيش ، قرشان طعمية .. قرشان مسكر وشاي ..

أما القروش الباقي فتشتري به أمك مسبرتو وتدهن به أختك ..

فقلت له :

— أعندك ابنة مريضة ؟

— دافية شوية ، أصل هدومها خفيفة والدنيا برد .

ثم ربت على كتف الفتاة مرة أخرى وهي تنصرف والتفت الى قائلا وهو يضحك :

— نعمة ..

— أي نعمة ؟

فقال وهو لا يزال يضحك :

— أن نجد من يقرضنا ..

فجاريته في ضحكه ثم تركته وانصرفت وفي اليوم الثاني ذهبت الى المسجد كالمعتاد ، وكنت أعرف أنه يحرص على صلاة العشاء جماعة ، ولكني لم أجده بين المصلين ، وفي الطريق مررت على الزقاق فأدهشني أن رأيت عربته بجانب الحائط ملقاة في الظلام بين بعض الأسفاط الفارغة القديمة ، وسألت عنه فلم أعرف أين هو وكنت لا أعرف بيته حتى أذهب اليه . غير اني في اليوم الثاني وجدت العربة قد انتظمت عليها الأسفاط من جديد عامرة ببعض أنواع الفاكهة كما وجلت ابنته الصغيرة بجوارها تذب عليها وهي تنادي على الرطب الحيائي بصوتها الصغير الذي يشبه صوت الملائكة ..

وبينما أنا أذهب اليها لأسألها عن أبيها رأيته يقبل علينا لاهتا يحمل على كتفيه جوالا صغيرا من الرمان . وسقطا صغيرا به جوافة . وما أن وضعهما بجانب العربة وجفف العرق المتصعب منه حتى مد يده الى مصافحا مبتسم الوجه يقول :

— معذرة فقد حرمت من رؤيتك أمس في المسجد .

— أين كنت وقد بحثت عنك كثيرا ؟

فبرقت عيناه بريقا خاطفا وقال وهو يعيد تجفيف العرق
المتصبب من وجهه :

— أصل فتحية تعيش انت ، وذبحت لادفنها فأمسى على
الوقت ..

— من فتحية ؟

— ابنتي ..

فجمد الدم في عروقي ووقفت ذاهلا أتطلع الى الرجل وكأنه
لاحظ ما أنا فيه من جزع فقال :

— الحمد لله ارتاحت ..

ثم اقترب مني وهو ما يزال يحفف عرقه وقال هامسا كمن
يفضي بسر :

— أصلها كانت بتكح ..

فنظرت اليه جاحظ العين ، ثم بعد صمت ثقيل قلت له :

— وماذا فعلت ؟

— الحمد لله .. أهل الخير كثير .. الشيخ بسيوني تبرع لها
بالكفن ، والشيخ عطا قرأ عليها سورة الله .

ثم فجأة غير مجرى الحديث وقال ضاحكا :

— الجوافة الليلة قشطة ألك في أفة منها ؟

وقبل أن أجيبه بشيء سمعنا فجأة رنيناً موسيقيا جميلا
ينبعث الى أذنيننا رقيقا في الليل . فالتفتنا فإذا امرأة تقبل علينا
في الظلام في ملأة لف ، ذات قوام فارع ممشوق وجسم غض
لدن عرفت كيف تحفظ كنوزها الغالية خلف نسج الملاة الرقيق
الناعم الذي أحكمته على جسمها فزاده ائارة وقتنة مغرية . يزين
وجهها الجميل المتألق برق أسود وقصبة من الذهب استقامت
على الأنف الدقيق ترسل اشماعا ذهبيا على الوجه والعينين
الكبيرتين اللتين تشبهان عيون البقر . كما تزين ساقها الجميلتين
بخلخال ذهبي كبير تعلقت به عدة بلابل صغيرة من الذهب هي
التي تحدث ذلك الصوت الموسيقي المنعم . ووقفت أمام العربية
وقالت وهي تنظر الى الجوافة بعينها الكبيرتين وتخلص لسانها
من لبانة كانت بين الشدقين .

— الجوافة غالية والا رخيصة ؟

— الغالي يرخص لك ..

فقال المرأة ضاحكة في أنوثة :

- الغالى عمره ما يرخص أبدا .

فقال قناوى وقد تلاشت الضحكة التى كانت على وجهه :

- والله يا ستي ما يرخص غير الغالى .

فقال وهى تخرج ذراعها البيضاء من قلب الملاحة وتمد يدها الى السفط فالتصمت فى الليل اشعاعات الشعابن الذهبية التى التفت حول المعصم وراح يريق عيونها الماسى يأخذ بأبصارنا .

- أبدا .. ايه الذى يرخصه ؟

فقال قناوى مبهورا ينظر الى بريق الذهب وجمال المعصم :

- أهوه مثلا الجواهر دى لو كانت فى يد واحدة ثانية كانت

رخصت ..

فأسبلت هديبها غانجة وقالت ضاحكة :

- احنا ح نبصيص ..

ثم أخذت ما أرادت ونقدته الثمن وانصرفت ، فراح قناوى يشيعها بنظرة طويلة تعلقت بأذيالها وماتت على ساقبها الجميلتين وخلخالها الذهبى الذى تنبعث من بلبله الست : تلك الموسيقى ذات النغم ، وما أن توارت فى الظلام حتى التفت الى وقال ضاحكا :

- حلوة ! ..

ومرت أيام لا أذكر عددها والتقيت بقناوى كالعادة فى المسجد ورحت أحدث اليه ولكنه فجأة غير مجرى الحديث وقال فى ابتسامة عريضة أنارت وجهه :

- فاكرك صاحبتك إياها ؟ ..

وكنت قد نسيت كل شيء فقلت :

- من صاحبتى ؟

فقال هامسا وهو يدنى شفتيه من أذنى :

- أم كامل .

فلم أفهم أيضا ورحت أفكر مقطبا بين حاجبى وكان هذا ضايقه فلكننى فى كفتى لكزة خفيفة وهو يهمس :

- ذات الخلخال الذهب ..

فتذكرت وقلت على الفور متلهفا :

- ما بها ؟

- أتعرف من هي ؟

- لا ..

- انها زوجة المرحوم الشيخ الدرديري مدرس العربي .

- ومن أين عرفت ؟

- فخنق ذراعي بأصابعه وهو يجذب رأسى اليه ويهمس :

- وتقطن الآن فى حارة الجباخنجي ..

- ومن أين عرفت كل هذا ؟

- زوجتى تعرفها ..

- وكان الاهتمام على وجهه زائدا فقلت :

- ولماذا تشغل نفسك بها ؟

- فارتبك قليلا ولكنه قال سريعا محاولا مداراة هذا الارتباك :

- أصل دا الزبون اللي الواحد يسترزق منه .

- وكنا قد خرجنا من المسجد فحماقنى ضاحكا وانصرفا وماان

يلج عربته حتى دفعها أمامه مرسلا عقيرته فى الفضاء مناديا على

بضاعته بصوته الجميل الذى اشتهر به قناوى فى الحى . وظل

كذلك الى أن انتصف الليل فذهب الى داره .

- وفى الصباح أحس رغبة شديدة فى أن يسأل زوجته عن شىء

يهمه ويشغل باله طوال الليل ، ولكنه لم يجرؤ وانصرف بعربته

يدفعها أمامه متجولا فى الحى . يخترق هذا الزقاق ويقطع تلك

الحارة ويجوب ذلك الشوارع حتى يبع صوته وخارت قواه .

- وأقبل الليل فعاد بعربته مخترقا فى الظلام حارة الجباخنجي .

- وبينما هو كذلك اذا به يسمع صوتا موسيقيا عذبا ينبعث من

خلفه فالتفت فاذا بأم كامل من خلفه تناديه ، وكانت واقفة على

باب دارها فى ثوب خفيف أبيض لاح لعينه فى الليل كأنه قدمن

نور . فلم يتمالك نفسه وهو يرجع اليها سريعا ويقف أمامها

مبهورا .

- وتطلعت المرأة اليه والى نظراته التى تشبه فى حديثها نفس

النظرات التى كان ينظر بها اليها عند العربة .

- وكان هذا أطربها فقالت بصوت ذاب رقة فى أذنيه :

- تعرف ان جوافتك حلوة ؟

- فنظر اليها وتمتم :

- قشطة ..

- يا شيخ ؟

- دوقى ..

وعد يده الى السفط وانتقى لها واحدة قدمها لها وهو يقول
وينظر الى صدرها العارى :

- قشطة لفايف ..

فراحت تقضم منها وهي تنظر الى سمرته النحاسية • وعنقه
الغليظ وصدره العريض الخافق الذى يعلو ويهبط أمام عينيها :

- يعنى ايه قشطة لفايف ؟

- دا موال ..

فقالته وهي ترنو اليه :

- غنيه ..

فقال مترنما فى صوت يشبه الهمس :

بلدى أبو صير والتل الكبير وبنا

والورد عشش على خد الجميل وبنا

والبطن قشطة لفايف والعسل له قنا

أنا قلت ...

فقاطعته جادة فى غضب أزعجه :

- احنا ح نبصص تانى والا ايه ؟ • • اوزن ثلاث وقات

فارتبك وراح يزن لها ماتريد مرتعشا لاينيس •

ولما تناولت منه القرطاس قذفت له بورقة من فئة الخمسة

والعشرين قرشا ، ثم قالت وهي تدخل وتدفع الباب فى وجهه

فى عنف :

- وخلى الباقي علشانك •

ووقف ذاهلا يتصيب العرق البارد من وجهه • • ترى ما الذى

أثارها كل هذه الثورة • • وأغضبها كل هذا الغضب حتى انها

لم تطق رؤيته فتنظر حتى يرد لها بقية نقودها •

وظل حينما فى مكانه جامدا ينظر الى الباب الذى أغلق فى وجهه

والنور الذى تلاشى من أمامه • وصوت البلابل الست الذى شنف

أذنيه ، ثم دفع عربته أمامه وسار محزونا كأن فاجعة ألمت به •

وفى الصباح عاد الى الحارة وراح يقطعها عشرات المرات يروح

ويجى وينادى على بضاعته ، وينظر الى البيت فلا يرى غير باب

موصد ونافذة أحكم اغلاقها ، وكما حدث هذا فى النهار حدث

أيضا في الليل • وكما حدث في اليوم الأول حدث كذلك في اليوم الثاني •

وهكذا ظل ثلاثة أيام كاملة يجوب الحارة في النهار ويجوبها في الليل فلا يرى غير الباب الموصل والنافذة المغلقة • فلا يسعه الا أن يتطلع اليهما كما يتطلع العطشان الى الماء من خلف حاجز سميك • الى أن انقطع فجأة عن الحارة فلا هو يقطعها في النهار ولا هو يقطعها في الليل ولا صوته الجميل ينساب سحرا في شعابها ..

ثم فجأة أيضا ظهر في الحارة يدفع عربته أمامه في الليل ، ولكن في اعياء شديد كاسف البال مرهق النفس منهك الأعصاب مغبر السحنة يكتنف وجهه شحوب شديد • يسير حيناً مرتعش الخطوات ويقف حيناً لينادي على بضاعته بصوت لا يكاد يبلغ أذنيه • الى أن اقترب من بيت بالذات فسمع صوتاً يناديه فالتفت فإذا بنافذة فيها امرأة تلوح له بذراعها العاجية البيضاء • التي التفت عليها الثعابين الذهبية ذات العيون الماسية البراقة فوقف مطرقاً يصغي الى رنين البلبال الذي انساب في أذنيه مختلطاً بصوت الباب يفتح وتقف أمامه امرأة في قميص كشف عن صدرها وكتفيها العاريتين تقول له :

— أين كنت ؟ ..

— في الدنيا ..

— من يومين لم تجيء الى الحارة • ولم أذق فاكهتك الجميلة • فأين كنت ؟

— أصل صفية ماتت ورحلت أدفنها ..

— من صفية ؟

— ابنتي ..

فأخذتها رجفة وهي تقول ممتعة الوجه تنظر الى الشحوب المرتسم على وجهه :

— ألك ابنة ماتت ؟

فقال وهو ينب على بضاعته بيد مرتعشة :

— رحمها الله ..

وسادت لحظة صمت قطعتها المرأة بقولها :

— عندك كم من الأولاد ؟

- فتحية • وصفية • وزاهية •
 ثم ألقى برأسه الى الأرض واستطرد :
 - فتحية ماتت من شهر • وصفية ماتت من يومين • والبركة
 فى زاهية ••
 ثم رفع بصره اليها وقال مبتسما :
 - الجوافة الليلة تعجبك •
 وسرها أنه غير مجرى الحديث فقالت ضاحكة :
 - طازة ؟
 فمد يده بواحدة اليها وهو يقول ضاحكا :
 - غسل ••
 - ولية مش قشطة ؟ ••
 فتلاشت الابتسامة عن وجهه وهو يقول :
 - يوم غسل •• ويوم قشطة •• ويوم ••
 ولم يتم فقالت له وهى ترنو اليه مسبلة الهدب ضاحكة :
 - ويوم ايه ؟
 فنظر اليها فطالعه فى الليل صدرها العارى الذى تلتصع عليه
 - اللبة - الذهب ذات الهلال والنجوم الثلاث ، كما يلتصع قرص
 الشمس فى الأفق • فضحك وقال :
 - شربات ••
 فقالت طرودة تجاريه فى الضحك ••
 - والآن ماذا عندك ؟
 - غسل • وقشطة • وشربات ••
 - اذن اعطني من الثلاثة ••
 فأعطاهما من الجوافة والبلح والرمان • فأعطته ورقة من فئة
 الجنيه دستها فى يده وهى تقول :
 - خذ الباقي لك ••
 - لى أنا ؟
 - أجل ••
 فعبئت الدهشة لسانه وهو ينظر الى الورقة فى يده •
 ثم نظر اليها وهم أن يقول شيئا • ولكنها كانت قد همست فى
 أذنه وهى تدخل :
 - عنلما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا •

فحفظت عيناه والتفت اليها سريعا ولكنها كانت قد غابت خلف الباب ، كما يغيب العصفور في الليل . فوقف جامدا ينظر الى الجنية الذى يرتعش بين أصابعه والباب الذى أغلق في وجهه . والصوت الذى مازال سحره ينساب في أذنيه عذبا رقيقا يقول له :

— عندما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا . .

ومرت بسمه عابرة غمرت وجهه وأيقظته مما هو فيه ، فدفع عربته امامه في قوة ونشاط كبير . ودون أن يدري أرسل عقيرته في الليل مجلجلة تردد غناء جميلا يعطر ظلمة الليل :

أهواك وأقول للمواذل كل يوم أهواك

وأكتب على باب حارتنا بالدموع أهواك

وأقول لقاضي الفرام في المحكمة أهواك

ولم يدرك الذى حدث له بعد ذلك . وكل الذى يدريه أنه لم يذهب الى داره في تلك الليلة ، وأنه بعد أن وضع عربته في مكانها المعتاد راح يهيم على وجهه في الطرقات يتحسس أذنيه اللتين مازالتا تسمعان تلك الهمسات : « عندما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا » .

ومر في طريقه على المسجد فتذكر أنه لم يدخله من ثلاثة أيام وآله هذا وأراد أن يدخل ليصلي العشاء ولكنه تذكر صديقه محمود أفندي الذى يقطن في بيت أم شوقي أنه لا بد أن يكون في المسجد وسيسأله أين كان وما سبب انقطاعه عن المسجد .

فهل سيقول له « عندما ينتصف الليل سيكون الباب مفتوحا » .

ورجع من على باب المسجد وراح يواصل سيره في الظلام .

وظل يسير . وفجأة تذكر شيئا جعله يتوقف . ان زوجته لم

يكن معها نقود وهو لم يرسل اليها بالعشاء وان ابنته الصغيرة

لا بد أن تكون جائعة وتلفت حوله ليرى أين هو فاذا به في باب

الخلق ، أنه قطع مسافة طويلة في الليل وعليه أن يقطعها ثانية .

ومر به رجل فسأله عن الساعة فأخبره أنها الحادية عشرة والنصف

فقفل راجعا الى داره سريعا ، يفكر في العشاء الذى يخله الى بيته ،

انه يملك جنيها في جيبه . جنيها كاملا له حرية التصرف فيه ،

فماذا يشتري من طعام شهى لبيته هذه الليلة ؟ طعمية وفول؟

علبة سالون بالصلصة ؟ رطلان من السمك المقلو ؟ زيتون

وجبن وحلاوة طعينية ؟ ٠٠ نصف رطل من الكباب المشوى ؟
وكان قد قطع شوطا كبيرا في السير فوقفت وتلفت حوله ليرى
أين هو فوجد نفسه في ميدان السيدة يقف على رأس شارع
السد الموصل للحارة ومريم به رجل فسأله عن الساعة فأخبرها أنها
بلغت الثانية عشرة فشكره وانصرف يواصل سيره في الظلام .
وفجأة وجد نفسه يقطع حارة الجباخنجي ويمد يده الى باب
معين وجده مفتوحا فدلف منه ، وما أن أغلقه خلفه حتى سمع من
خلفه صوتا على السلم يناديه ٠٠ فارتعدت فرائضه وجعلت
عيناه ، ووقف خائفا يتصبب عرقا ٠٠ لكن بدا ناعمة مست كفته
في رفق وتحسست ذراعاه في حنان ومن ثم جرته من يده الى
غرفة في البيت وأجلسته على كنبه عريضة أمامها سرير عريض
قام على أربعة أعمدة تغطيه ملاءة ذات لون جميل ، فجلس مضطربا
خائفا مضطربا العيين في صمت . فقالت له وهي أمام البريه
تشعل مصباحا زجاجيا صغيرا راح نوره الأصفر الشاحب يضيئ
على الغرفة لونا مقبضا حزينا اضطرب له قلبه .

— انت خائف ولا ايه ؟

ففتح عينيه ونظر اليها وتمتم لاهثا :

— لا أبدا .

ثم عاد الى أطرافته وأغمض عينيه . وكان هذا ضايقها الى حد ما
فنزعت الشال الذي كان على كتفيها فبدأ صدرها عاريا الامن
— اللبة — الذهبية ذات الهلال الكبير والنجوم الثلاث التي تلتصق
على صدرها كما يلتصق قرص الشمس في الأفق . وجلست
بجواره على الكنبه وقالت مبتسمة وهي تعبت بطرف ثوبه الممزق
وتتأمل من خلال تلك الثقوب جسده النحاسي الذي لاح لعينيها
غليظا قويا :

— في ايه بتفكر ؟

فنظر اليها وجارها في الابتسام وقال :

— في الله ٠٠

فنهضت ضاحكة وتركنه وانصرفت الى الخارج . ولم تغيب
حتى عادت تحمل على يديها الجميلتين صينية كبيرة وضعتها أمامه
وهي تقول :

— على ما قسم ٠٠

فنظر الى الطعام الذى امامه . والزجاجة الصفراء التى وضعت عليها وقال :

- أهذا كله لى ؟ ..

- كله لك ..

وعندما رآته يلتهم الطعام فى نهم سرها مارأت وقالت :

- أجائع أنت ؟

فقال ضاحكا منطلق الوجه :

- ومن يرى هذا ولايجوع ؟ ..

فقالت مبتهجة وهى تمد يدها الى زجاجة بجواره :

- أتشرب ؟

- أنا لا أشرب على الطعام أبدا ..

- انها ليست ماء

- ماهى اذن ؟

- خذ ..

- مية نصارى ؟

- جدد ..

- ولكننى لا أشرب الخمر ..

- ليست خمرا ..

- ماهى اذن ؟

فاستلقت ضاحكة تطوق عنقه بذراعيها .. وتقدم له الكأس الثانية قائلة :

- شربات ..

وأفرغ الكأس فى جوفه مرة واحدة .. ثم عاد وأفرغ الكأس

الثانية فى جوفه مرة أخرى .. وما أن فعل ذلك حتى ثقلت

رأسه وشعر بشيء يشبه الدوار فقال :

- ما اسم هذا الماء ؟

- كونيالك ..

- ولماذا يشربه الناس ؟

- ليمنع عنهم الخوف ..

وفجأة أحس بأن الأرض تدور به وأن الغرفة التى يجلس

فيها كأنها أرجوحة هوائية تروح به وتجيء وتعلو صاعدة الى

السما وتهبط نازلة الى الأرض . تميل به ناحية اليمين حتى

ليكاد ينكفى على الشرير الكبير الذى على يساره • وتعمل بهمة
أخرى ناحية الشمال حتى ليكاد يرتقى على صدر المرأة المستلقية
بجواره دافئة وجهها الأبيض فى موجة من سواد الشعر الفاحم
الذى تهدلت خصلاته حول رأسها المخمور وتلتف الثعابين على
ذراعيها ، ويستلقى الهلال على صدرها العارى وتلتف حول
الثدين أسلاك الانجم الثلاث ، كما يلتف الخللخال ببلابله حول
الساق العارية المستلقية ••

ونظر الى الغرفة التى تتأرجح به والمقعد الذى يهتز من تحته
والمرأة السكرى التى تسبح فى اغفاعة غامرة ، والمصباح الزجاج
الذى تهتز ذبائله الشاحبة فتتأرجح فى الليل • فأغمض عينيه
وزم شفثيه ، ومن ثم ألقى برأسه الثقيل على صدرها يرسل من
منخاره الكبير شيئاً يشبه هزيم النار •
وتحركت المرأة فى رقدها وفتحت عينيه ونظرت اليه ••
فأخذتها اطراقتة الثقيلة وأخافتها سحنه المربدة فاقربت منه
مضطربة وقالت متلعثمة من فعل الحمر :

— ما بك ؟

— لاشى ••

— فميم تفكر ؟

— فى زاهية ••

فألقت بذراعيها على كتفه ضاحكة تنظر الى سحنه النحاسية
وقالت :

— أتحب امرأة غيرة ؟

— انها تكح هى الأخرى ••

فلم تسمع وأرادت أن تسمع فخلصت وجهها من بعض
خصلات الشعر المسدلة عليه وقربت من وجهه مضيتها باهراً
وقالت :

— قلت أتحب امرأة غيرة ؟

فأخذته اشعاعاً من نور انبعثت من وجهها فى عينيه فنظر اليها
متأملاً وقال بعد أن همهمت شفتاه :

— بل أحبك أنت ••

— اذن خذنى اليك ••

وارتمت فى أحضانه والتصق صدرها العارى بصدره النحاسي

الحسن • فحقق قلبه وثار ثورته • فنهض هائجا كالثور وحملاها
على ذراعيه القويتين وألقى بها على الفراش فى عنف • وهم أن
يقول لها شيئا • ولكن قدمه اصطدمت بشيء ثقيل على الأرض
تبينه ، فإذا به زجاجة فيها خمر فتناولها • ونظر اليها وأحس
برغبة شديدة فى أن يشرب • وأن يشرب • فرفعها الى فمه فجأة
وأفرغ ما فيها فى جوفه مرة واحدة ومن ثم راح يمسح على شفثيه
وينظر الى تلك المرأة التى أخذتها سريعا اغفائة أخرى فاستلقت
نائمة • • فراح يتطلع اليها ثانية ويتأمل بعينه جمال تلك
الذراع النائمة بجوارها تلتف عليها ثعابين الذهب وفتنة ذلك
الصدر العارى الذى تلتصع عليه تلك اللبة بهلالها الكبير وأنجمها
الثلاثة فتزيد نوره بهاء •

وينظر الى تلك الساق التى يزينها الخلخال وبلابله الست
وواته فكرة فنفأها سريعا عن خاطره ولكنها عادت اليه ثانية
ومرت بخاطره ، وما أن فعلت حتى انتفض فى مكانه مذعورا وجلا
يتصبب العرق من كل جراحة فيه • وأحس بالخوف يكتنفه
والاضطراب يلم به •

وأراد أن يهرب فنظر الى الباب وهم أن ينقل قدمه ولكنها
اصطدمت مرة أخرى بشيء ثقيل على الأرض فتبينه فإذا به زجاجة
ولكنها فارغة فأمسك بها فى يده • وأحست المرأة وهى نائمة
بشء ثقيل يشبه الخوف يطبق على صدرها ففتحت عينيها ونظرت
فأرعبته نظراتها رعبا شديدا وحفظت عيناه جحوظا مخيفا فى
الليل وأردت سحنته اربدادا مروعا وهو يرفع ذراعه القوية
ويده الغليظة التى تصلبت أصابعها على الزجاجة وهوى بها فى
غلظة هائلة على الجبهة فهشمتها ، وانفلتت صرخة مختنقة من
المرأة فأسرع الى شفثيها بكفه الغليظة الثانية وأطبق على فمها
كالهول الكبير يتطلع الى تلك الدماء الغزيرة التى تتدفق على يده
المتكالبة على فمها •

وكلما انقطعت تلك الدماء أو كادت هوى على الرأس بضربة
أخرى حتى تهشم وتناثرت عظامه ولم يبق منه غير فجوة غائرة
بين الكتفين تتدفق منها الدماء ، فوقف لاهثا يسترد أنفاسه • •
ومن ثم غادر الغرفة وراح يهبط الدرج فى الليل ، فى نفس

الخطوات التي كان يصعد بها منذ ساعات • وتسلسل الى داره
يحمل شيئاً بين يديه • وما أن التقى بزوجته حتى ألقى اليها
مبتهجاً بصرة كبيرة وهو يقول :
- خذى •••

ونظرت زوجته الى وجهه المفبر وشعره المشعث ، وثيابه المملوطة
بالدما ، ورائحة الحمر الرخيصة التي تنبعث من جوفه • ولطمت
خديها قائلة :

- قناوى ما بك ؟

- قلت لك خذى ••

- ما هذا ؟

- ذهب •• ذهب •• ذهب ••

- ذهب ؟!

وارتفعت عيون زوجته وهي تفتح الصرة وتطلع تلك الخفنة
الكبيرة من الذهب •

وارتفعت أكثر ووقفت نظراتها جامدة على بلايل مست تعلقت
بتخلخال كبير من الذهب ، راحت أنفامها تحلث بين يديها
المرتعشتين رنيناً عذبا •

وتطلع قناوى الى وجهها المتجمد كالبحر وعينيها المتسمرتين
على الخلخال وقال :

- احفرى حفرة فى الأرض وادفنى هذا الذهب ان كنت
خائفة ••

- انه ذهب أم كامل ••

- أجل •

- انه ذهب فالصو •



— مبروك ..

.. خيرا ..

— صدر أمر نقلك الى القاهرة ..

فأسقط في يدي وقلت :

— وما الذى تراه فى هذا من الخير ؟

— انك ستعيش فى الدنيا ..

— وهل أعيش الآن فى الآخرة ؟

فابتسم وقال وهو يحك بابهامه شيئا لزجا كان على صدر
قميصه البالى ؟

— أو تظن أن كاتب تنظيم فى مجلس محلى صفط الملوك يعيش
فى الدنيا ..

فلم ألتفت الى هذا السخف الذى قال وسألته :

— ومن الذى جاء اليك بهذا التبا المشؤوم ؟

— خطاب سرى ومستعجلى وبعثت به لحضرة الباشمهندس

فى المرور ..

وانصرف . مطر أفندى كاتب المستخدمين وبقيت وحدى فى
مكتبى أفكر فى هذه المصيبة التى حلت بى ومن الذى تسبب فيها
وكيف سأعيش فى القاهرة بهذا المرتب الضئيل الذى اتقاضاه .
أننى أعيش هنا فى صفط الملوك عيشة الكفاف فى نطاق السبعة
جنيهات التى اتقاضاها والتى لم تزد ولم تنقص منذ سنوات
طويلة ، وكأنها منحة القدر التى لاحيلة لانسان فيها . فهل
هذه الجنيهات السبعة ستوفر لى نفس هذه الحياة هناك على ما فيها
من شقاء لا يحتمل ، وهبها كانت كذلك واحتملتها أنا . هل
ستتحملها وهيبة زوجتى ؟ وهذه الفتاة الريفية الساذجة التى
لم تغادر صفط الملوك يوما . والتى لاتجيد وضع القيقاب فى
قدمها . ان هى أرادت يوما أن تعتمد وتترين وتضع شيئا فى قدمها
بدل أن تظل حافية القدمين . كيف ستعيش هذه فى القاهرة
وتجارى تيارها الجارف ، وحياتها الصاخبة التى نقرأ عنها فى
الصحف ، أو نسمع عنها فى الحبال . فكرت فى هذا كله سريما
ثم استنكرته سريما أيضا ، واستنكرته استنكارا شديدا حتى

تمنيت لو أن مطر أفندي يكون غير جاد فيما قال .
وقلت أنتظر عودة حضرة الباشمهندس رئيس المجلس من
المرور . واستوضحه الخبر . وإن كان حقيقة أرجوه في أن
يتوسط لي في الغاء هذا النقل ، ولكن كيف السبيل الى مقابلة
حضرة الرئيس . انه من العسير علينا جدا نحن الموظفين ان نقابل
حضرة الرئيس ؟ أو ندخل عليه مكتبه الا اذا طلبنا هو ، فهو رجل
فظ غليظ القلب لا يطلبنا لخير أبدا ، وانما لشر دائما ، وكانت
آخر مرة طلبني فيها من شهرين ، هي التي خصم لي فيها ثلاثة
أيام لا لجرم ارتكبته ، وانما لخطأ غير مقصود ، وهو تقرير عاجل
عن قطعة أرض خارجة في التنظيم ، فكتبته بخطي ولم أكتبه على
الآلة الكتابة . فكرت في هذا كله وفي غير هذا . ولما لم أجد
وسيلة ذهبت الى فهمي فراش مكتبه . ونحن جميعا نعرف دالته
على الرئيس وقدمت له سيجارة . ورجوته في الحاح أن يمكنني
من مقابلة الرئيس عند عودته من المرور . ومن ثم رحت أنتظر في
مكتبي بيد أني لم أنتظر طويلا لأن السيد فهمي كان قد عمل
بالرجاء ، اذ أقبل على سريما بمجرد عودة الرئيس وطلبني اليه
ففرحت فرحا لا يقدر . ورحت سريما أصلح من وضع طربوشى ،
وزررت الجاكته ، ولما استوثقت من نفسى مددت يدي وبقرت على
الباب ثلاث مرات كما هي العادة . وما أن دخلت عليه مكتبته
حتى فوجئت مفاجأة غريبة جدا . فقد رأيت بعيني رأسى حضرة
الباشمهندس ينهض من على مكتبه سريما ويستقبلني عند الباب
ويحييني في حرارة واحترام زائد ، بل زاد على هذا كله أن مدلى
يده وصافحنى . ثم أشار الى مقعد بجوار مكتبه وطلب منى أن
أجلس في حضرته .

فدهشت دهشة كبيرة ورفضت بطبيعة الحال أن أجلس ولكنه
ألح بل أقسم فجلست خجلان . وما أن جلس هو أيضا حتى
قدم لي سيجارة من علبة الذهبية الفاخرة . وقال وكأنه
يداعبني :

— يا أخى لما أنت لك واسطة كبيرة كده ، ومركزك خطير
الدرجة دى مش تقول لى . . .
فتلفت حولى لأننى ظننت انه انما يخاطب شخصا آخر . .
بولما لم أجد أحدا قلت :

- مركزي أنا يا أفندم ؟

فقال ضاحكا وهو يضغط على جرس الساعى الذى على مكتبه -
- آمال مركزي أنا ياسى عبد الدايم ؟ قبلعت ريقى وهممت .
أن أقول شيئا لولا أن فهمى الفراش كان قد دخل علينا وحيا أن .
حضرة الرئيس تلك التحية العسكرية التى هزت الأرض تحت
قدمى . وما أن خلص من تحيته حتى قال له الرئيس على الفور :
- حاجة صاقعة بالعجل لسى عبد الدايم . فلم يصدق فهمى .
ماسمع وراح هو الآخر يتلفت حوله لعل هناك عبد الدايم غيرى ،
ولكن الرئيس نهره فى غضب فانصرف سريعا وقلت أنا :

- لى أنا يا أفندم ؟!

قلتها دون أن أشعره فقد اختلط على الأمر اختلاطا كبيرا .
كما اختلط أيضا على فهمى الذى عاد سريعا ودق الأرض بقدميه
وهو يحيينى أنا هذه المرة ويقول :

- تشرب ايه ياسى عبد الدايم ؟

فكدت من شدة الحرج أسقط من فوق المقعد وقال الرئيس
شاخطا فى عنف ارتعدت له فرائص فهمى :
- قلت لك حاجة صاقعة .

فانصرف سريعا كما أقبل سريعا . ولما خرج التفت الى حضرة
الرئيس وقال :

- نهيه . . مين بقى ياسيدى واسطتك ؟

- فى ايه يا أفندم ؟

- فى هذا المنصب الخطير الذى ظفرت به .

- أى منصب يا أفندم ؟

- اسمع ياسيدى . .

قال ذلك ومد يده الى جيبه وأخرج خطابا حكوميا ، استطعت
أن ألمح على طرفه كلمة مكتب الوزير وقرأ (نظرا لكفاءة حضرة
الأستاذ عبد الدايم أفندى فرج الموظف بالمجلس ، فقصد وقع
الاختيار عليه ليعمل بمكتب معالى الوزير ، على أن يدخل طرفه
فورا ويتسلم عمله كسكرتير خاص لمعالى الوزير ابتداء من صباح
السبت ١٤/١٠/١٩٤٨ ، امضاء ، وكيل الوزارة)
وما أن سمعت ذلك حتى دارت بى الأرض ، وأصبحت فجأة
شبه الذهول ولولا أن الفراش دخل علينا فجأة وحيانى مرة

أخرى تلك التحية العسكرية التي هزت الأرض تحت قدمي وهو يقدم لي كوبا من عصير الليمون المثلج وينصرف ، لظننت أن المعنى بهذا كله هو غيري من غير شك .. وظللت كذلك الى أن مضت فترة صمت طويلة قطعها حضرة الرئيس بسيجارة أخرى قدمها لي وهو يصر هذه المرة على أن يشعلها لي بيده ، ثم قال :

— هيه .. ميني بقي ياستيدي واسطتك ؟

وكننت قد رجعت الى نفسي ووجدت الأمر أصبح حقيقة .. أنا هو أنا .. والرئيس هو الرئيس .. وكوب الليمون المثلج في يدي .. واللقافة الامريكاني الفاخرة بين أصابعي ، لما وجدت ذلك كله ، وضعت ساقا على ساق وقلت في شيء من الكبرياء :

— والله دي مسألة ترجع الى صلة عائلية ، تربط أسرتي بأسرة معالي الوزير من زمن بعيد ..

فقال الرئيس على الفور وكان شيئاً يهزه على مقعده :

— انت قريب معالي الوزير ؟

— أجل قريب معالي الوزير ..

فنظر الى وقال وهو يديق في وجهي وكأنه يراني لأول مرة .

— تعرف يا عبد الدايم أفسندي أنا دلوقت بس أمنت بأني صحيح صادق النظرة . لقد قلت عنك هذا من أول يوم رأيتك فيه . قلت لابد وأن تكون من أسرة كريمة لأن خلقك الكريم وقلبك الكبير وطهارة نفسك وحرصك على عملك ، كل ذلك جعلني أتحدث عنك وأشيد بك في كل مكان .

فشكرت له هذا الثناء . ولما انصرفت من حضرته أبي الآن يودعني عند الباب بعد أن اتفق معي على أن نلتقي في المساء وتركته وانصرفت الى وهيبة تفرعني موجة من الفرح لاحد لها وزفت اليها هذه البشري ففرحت فرحا لا يقدر لأنها ستذهب الى مصر وتقيم فيها على مر الزمن — مصراوية — ورحت معها نتحدث عن المنصب الجديد وفضل معالي الوزير الذي يبحث عن الاكفاء وينقب عنهم ويستخرجهم من تراب الريف كما يستخرج الذهب من المنجم .

وما أن جاء المساء وشاع الأمر في القرية وعرف بأني أصبحت سكرتيراً لمعالي الوزير حتى توافد على أهلها جميعاً يتقدمهم حضرة العمدة ، وشيخ البلد ، وحضرة عزمي أفسندي رئيس المجلس

وعبد الستار أفندى مهندس المساحة ، والدكتور الشربيني حكيم
المركز ، وراح الجميع يهتفوننى وهم يكادون يقبلون يدي كما
راح حضرة العمدة وعزى أفندى الباشمهندس ينسويان ،
عنى فى رد التهئة والتحية للناس وعبد الستار أفندى مهندس
المساحة والشيوخ الدمرداش شيخ البلد يعدان العدة لحفلة الشاي
الكبرى التى ستقام فى دوار العمدة تكريما لى • والتى تحدد لها
مساء اليوم الثانى ، وهو اليوم الذى يسبق سفرى مباشرة • وإن
أنسى فلن أنسى ماحيت فرحة وهيبة وهى على السطح تسمع
وترى جموع الناس الذين غصت بهم الحارة يلتفون من حولي
مهنئين فترسل من فرط فرحتها الزغرودة تلو الزغرودة • •
ولما انصرفوا أبى العمدة الا أن يصحبني الى بيته لا تناول العشاء
على مائدته أنا وحضرة الباشمهندس وشيخ البلد وعبد الستار
أفندى مهندس المساحة وبعد السهرة الطويلة التى افقناها فى
الحديث عن مركزى الجديد وكيف أننى سأصبح عوناً وظهراً لأهل
القرية جميعاً فى الوزارة ، انصرفت الى منزلى فاستقبلتنى وهيبة
فى أبهى زينة ، المنديل أبو أويه المطرز بخرج النجف عقدته
فوق قصة من الشعر الفاحم زانت بها جبينها الوضاء • وثوبها
الأحمر الفاقع الذى راحت حمرة تلمع فوق جسدها كما تلمع
جمرات النار فى عينيك من بعيد • وصفائر الشعر الأسود التى
تدلت على الظهر فى طرفها الاحجية والتعاويد وكأنها الرقى
تحرس الحصر والأرداف من العين ، والقبقيب الذى تزين به
قدميها الجميلتين المخضبتين • ومن فوقهما الخلل الكبير الضخم
ببلايه الثماني ترسل جرساً موسيقياً عذبا كلما انتقلت الساق
عن الساق •

ومن ثم جلسنا نتحدث عن كل شىء • • عن الحبيب وعن الجمال ،
وعن القاهرة • وعن المنصب الجديد • وعن الدنيا عندما تقبل
على انسان •

وفجأة تطرق بنا حديث السفر الى مشكلة هامة وهى ثيابي •
والبيدة التى سأستقبل بها معالى الوزير وكيف أن ملابسي
الحالية لاتصلح • وليس معنا نقود حتى نستبدل بها غيرها •
وغير ذلك كله فالوقت ضيق جدا • وفجأة تعقد الأمر وغاضت
الابتسامة الجميلة من على ثغر وهيبة ، كما رحت أشعر بما يشبه

الضيق يطبق على أنفاسي •

وظللنا كذلك زمنا ولكنه لم يطل كثيرا والحمد لله ، لأن وهيبة
حلت الموقف سريعا بأن أعطتني خلخالها الفضي الكبير الذي كنا
قد أدخرنا ثمنه من شقاء العمر لأبيعه واشترى بثمانه بعض
ما أحتاج اليه من ثياب جاهزة ، جاكسة وبنطلونا وحذاء • •
أما الطربوش فقد اتفقنا على قلبه • لأنه من فضل الله كان لم
يقلب بعد • •

وفي الصباح توكلت على الله وذهبت الى أقرب مدينة الينا وهي
دمنهور • وذهبت الى الصائغ فاشترى مني الخلخال بسبعة
جنيهات • وكان معي ثلاثة جنيهات أخرى ، جنيهاً كنت أملكهما
والجنيه الثالث كانت قد أدخرته وهيبة على مر السنين واشترت جميع
لوازمي الضرورية ولم أنس أن أشتري شئاً جديداً لوهبية
بدل القبقاب • وانتهيت من ذلك سريعا ولم يعطلني طوال اليوم
غير الطربوش الذي قلبته فعاد جديداً لامعا •

وفي المساء عدت الى صفط الملوك • وما أن أقبلت على القرية
حتى طالعني الثريات والمصاييح المنورة التي راحت تنلأ نورا
وبهاء أمام دوار حضرة العمدة • فتذكرت حفلة الشاي التي ستقام
تكريماً لي • وما أن بلغت الدار حتى أخبرتني وهيبة بأن القوم
ينتظرونني من ساعات • ولما أعطيتها مامعي ورايت بذلي الجديدة ،
البنطلون الفرسكة الرصاصي والجاكطة الكحلية والكرافتة الحمراء
المخططة أرسلت زغرودة طويلة وأبت أن أذهب الى حفلة الشاي
الا في هذه الحلة الجديدة فنزلت عندي رغبتها ، ومن ثم رحلت
اخترق الحارة من الدار الى دوار العمدة تزين صدرى تلك الكرافتة
الحمراء وذلك المنديل الأبيض الذي ازدان به صدرى • وما أن
أقبلت على دوار العمدة حتى وجدته قد غص بعلى القوم يتقدمهم
حضرة مأمور المركز وحضرة ضابط النقطة وما أن هلت عليهم
طلعتني حتى راح التصفيق يشق عنان السماء ومن ثم التفوا من
حولى هذا يصافحني ، وذلك يقبلني وآخر يود لو حملني فوق
رأسه الى أن بلغت المقعد الذهبي الكبير الذي أعد لي بين حضرة
الباشا ومهندس حضرة المأمور • وبجوارنا حضرة العمدة وعبد
الستار أفندي مهندس المساحة وما أن أكلنا مالد وطاب من
الحلويات وشربنا الشاي حتى وقف عبد الغني أفندي كاتب

حسابات المجلس وألقى قصيدة عصماء عسدد فيها مناقبي ..
ثم تلاه مطر أفندي كاتب المستخدمين وألقى خطبة طويلة قوطعت
بكثير من التصفيق . ثم وقف بعد ذلك حضرة عزمي أفندي
المهندس رئيس المجلس وألقى كلمة طويلة مازلت أذكر منها
الى اليوم ذلك السجع الجميل الذي قاله في شخصي الضعيف
يصف الوظيفة الجديدة التي طفرت بها - خلقت له .. وخلق لها ..
ولو رامها غيره لزلزلت الأرض زلزالها ..

وبينما أنا أجلس في مكاني استمع الى كل هذا وعرق الحجل
يتصبب من كل جارحة في . وأفكر في موقعي عندما سأقف
الآن لأرد على كل هذا المديح الذي لم يقله قائل في انسان .
ولا حتى في معالي الوزير نفسه عندما تقلد منصب الوزارة .
اذ بي أرى الشنواني عامل التليفون يقبل من بعيد سريعا وفي يده
دفتر الاشارات ويقترّب من العمدة وحضرة الباشا مهندس ويهمس
في أذنيهما بشيء ذي بال انصرفا على أثره سريعا ولم يمكثا بعيدا
حتى أقبل الشنواني ثانية . وأشار الى من بعيد فذهبت اليه
وما أن انضمت اليهما حتى قال حضرة الباشا مهندس على الفور
وهو متجهج الوجه وفي صوته غلظة كتلك التي اعتاد أن يخاطب
بها الموظفين في المجلس أثناء العمل .

متأسف يا عبد الدايم أفندي ، فقد حدث لبس في الأمر - اذ
المقصود هو عبد الدايم أفندي فرج الموظف بمجلس محلي صفت
العنب ، لا عبد الدايم أفندي فرج الموظف بمجلس محلي
صفت الملوك .

ثم أدنى دفتر الاشارات من عينيه وقرأ ، وقد أمر معالي الوزير
باجراء تحقيق سريع لمعرفة المتسبب في هذا الخطأ .





كانت أهم مشكلة اعترضتني عندما صدر أمر نقلى الى القاهرة
هى مشكلة السكن ، فقد كان الحصول على سكن ملائم فى القاهرة
فى ذلك الحين أشبه بالحصول على كنز يهبط عليك من السماء ،
أو يخرج اليك من الأرض - ولذلك عندما جاءنى سلامة ماسح
الاحذية الذى تعرفت عليه فى القهوة التى كنت أجلس فيها
وأخبرنى أنه وجد لى مسكنا ملائما كانت فرحتى لا تقدر ،
وانصرفت معه سريعا أسير خلفه ، وهو يخرج بى من حى الى حى
ومن طريق الى طريق حتى وقف بى أمام عمارة كبيرة فى شارع
معروف وقال وهو يشير الى شقة معينة - هذه .
- هذه ؟!

- أجل وتطل على الشارع ولها شرفة كبيرة .
- أنت مجنون . أظننتنى ثريا حتى أظن هذه العمارة ؟
- وهل الذى سيقطنها أحسن منك ؟
- لم يكن أحسن منى ولكنه أكثر ثراء منى .
- بسيطة ، تعال أفرج وربنا يفرجها .

ورفضت أن أصعد معه ولكنه أصر وكان البواب قد اقترب منا
فخجلت وصعدت معهما وسوف لا أعدم سببا أخرج به من هذا
المرج الذى ورطنى فيه السيد سلامة ، ووجدت الشقة جميلة
حقا لا عيب فيها الا دخلى المحدود ..

ووقفت حائرا أو قل عاتبا على موزع الحظوظ الذى أبى الا أن
يحرمنى من هذا الهناء الذى أباحه لغيرى . وكان سلامة بذكائه
- وكان ذكيا حقاً - أحس بما أفكر فيه فغافل البواب وقال لى
هامسا - ماتخافش دى رخيصة . خمسة جنيهات ايجار . .
ومئة خلو ..

وما أن قال ذلك حتى أخرجنى من المرج الذى كنت فيه .
فقد كنت أظنها أغلى ثمنامن هذا . ولذلك انصرفنا سريعا وحصلت
على المبلغ سريعا .

واستأجرتها وأنا أشد ما أكون فرحا بها وبسلامة الذى كان
سببا فى هذه الصفقة الرابحة .

بيد أن هذه الفرحة لم تدم غير عدة شهور قلائل جداعتشت بعدها في جحيم لا يطاق ، حتى رحلت أسخط على كل شيء . على الحياة وعلى نفسي . وعلى اليوم الذي قطننت فيه هذا المنزل ، وعلى سلامة الذي دلني عليه . ورحت من جديد أبحث عن سكن آخر ، وأتردد على سلامة ثانية وأتوسل إليه أن يبحث لي عن سكن آخر - مهما كان وبأى ثمن - ولما سألني عن السبب قلت له كل شيء إلا الحقيقة .

فقد حدث أن قطن الشقة التي تقابل مسكني تماما ، والتي تطل شرفتها على مسكني مباشرة لا يفصلهما غير عرض الشارع الذي بين العمارتين ، رجل يعيش مع سيدة تكاد تماثل في السن التي تقدمت بهما بعض الشيء . وأغلب الظن أنها كانت صديقة لهذا الرجل .

فقد كانت حياته معها ، وحياتها معه ، حياة غير كريمة على أى حال . ان دلت على شيء فعلي استهتار كبير . ببعض القيم الاخلاقية التي افناها في بيوتنا ونسبر عليها في حياتنا الخاصة ، والتي يحرص عليها رجل محافظ مثل وزوجة محافظة كزوجتي . وأغلب الظن أيضا أن الرجل كان لا يعنيه أن يعرف عنه ذلك أو يقول عليه متقول اذا هو خرج عن التقاليد المرعية ، فهو يداعب هذه السيدة دائما ، وهي أيضا تداعبه دائما ، يداعبها وهو معها في الشرفة ، ويقبلها وهو معها في النافذة ، ويداعبها أيضا اذا كان معها في الطريق ، لا يعنيه أن يراه أحد أو لا يراه ، ينتقده ناقد أو لا ينتقده .

وقد ضايقتني هذا كثيرا لأنه كان يقع دائما على مرأى مني ومن زوجتي التي لم تقع عينها على مثله أبدا . ولذلك كانت تستهجنه وتغض الطرف عنه برمة به غير راضية عنه . وكثيرا ما كانت تريد أن تجلس في الشرفة أو تقف في النافذة .

وما تكاد تفعل حتى ترتد سريعا محمرة الوجه ناثرة الأعصاب متذرعة بالصمت لا تفتح فمها اليوم كله . ولما كنت أسألها كان يمنعها الحياء من أن تجيب . فيزداد سخطى على الرجل وهذه المرأة التي تعاشره . وعلى نفسي كذلك . اذ ماذا أصنع . هل أقول له لا تقف في نافذة بيتك ، ولا تجلس في الشرفة أنت

وهذه المرأة ، وأن لاتداعبها هذه المداعبة السمجة ؟ ..
ان هذا ليس من حقى ، ولا هو أيضا من حق أى انسان ..
وانما الذى من حقى هو أن أغلق نافذتى أنا . وأن لاأجلس فى
الشرفة . وأنا ان فعلت فمعنى ذلك أننى سأعيش فى سجن .
وأنا ان تركت هذا المنزل لكى أنجو بنفسى وبزوجتى من هذا
الآدمى فأين أجد المنزل الآخر . وان وجسده أين أجد منة
جنه أخرى ؟ ..

وتملكتنى الحيرة . ورحت مرة أخرى أسخط على كل شىء .
على الحياة وعلى نفسى ، وعلى اليوم الذى قطنت فيه هذا المنزل .
وعلى سلامة الذى دلنى عليه . وظللت كذلك الى أن حدث ذات
مساء ، أن شغلتنى شاغل عن الخروج من البيت فقصد كان من
عادتى أن أخرج فى المساء دائما . فجلست مع زوجتى فى الشرفة
تحدثت كما هى العادة فى شئون البيت ونفقات المعيشة ومتاعب
الجزار وبائع الحضر ، ومناكبات الخادمة الجديدة ، التى لاهم لها
الا الفناء فى أوقات العمل ومغازلة خدم الجيران فى أوقات الفراغ .
وما الى هذه الأحاديث المعتادة التى تحدثت بها دائما كلما واتت
الفرصة فجلست فيها الى زوجتى ..

وفجأة رأيت الرجل أمامى فى الشرفة . والى جانبه تلك المرأة .
وكان يتناول معها عشاء خفيفا على مائدة صغيرة فى الشرفة .
وهما يضحكان ويعبثان عبثا سخيفا ، هو يضحكها حينما وهى
تضحكه حينما آخر . كان يهمس لها بشىء فتغرق فى الضحك
أو تهمس له بشىء فيستلقى ضاحكا . وهو يختار لها شيئا شهيا
من على المائدة فيدسه لها فى ثغرها عنوة . وهى تنتقى له شيئا
أشهى وتأبى إلا أن تعيده طفلا صغيرا فتمسك بيده ، ثم تطعمه
باليد الأخرى ، غير متحرج وغير متحرجة . ثم هما بعد أن انتهيا
من الطعام جلسا على مقعدين مريحين يشربان القهوة ويعبثان -
هى تغافله وتمسكه من أذنه فجأة فيصرخ ويضربها على يدها فى
حنان ، وهو يغافلها ويلتقط قبلة من ثغرها فتستلقى على صدره
ضاحكة ..

ورحت أرى هذا الذى أرى ، وأسمع هذا الذى أسمع ، ونظرت
الى زوجتى أيضا ، وفكرت فى أن أغادر الشرفة . ولكنى خشيت أن
ألفت نظر زوجتى الى ما لايجب أن تلتفت اليه . واستبدت بى التفكير

واستبد بي أيضا الغيظ والحلق ، وكان زوجتي لاحظت على ما أنا فيه من حرج فأشفقت على بأن استأذنت لتنام ومن ثم غادرت الشرفة وانصرفت الى مخدعها وأغلقت بابه عليها ونامت .

ومكثت أنا بعدها في الشرفة الى حين ثم انصرفت أنا الآخر الى مخدعي لأنام ولكن دون فائدة فقد استبد بي الأرق . . وليس أثقل على النفس من تلك الساعات التي يقضيها الانسان في فراشه يهتف بالغمض . .

وبينما أنا كذلك أتلوى من الغيظ والحلق على ذلك الرجل المستهتر وتلك المرأة الفاجرة . والأرق الذي انتابني ، رأيت بجانبى كتابا كنت قد اشتريته ولم أقرأه بعد ، وكان عنوانه ، « الأيام السعيدة » فرحت أتصفحه ، وما أن قرأت فيه ، قليلا حتى استهوانى موضوعه الذى كتبه المؤلف عن الزواج وكان الكتاب غاية في اللطف . وغاية في العمق أيضا اذ راح المؤلف يحدد فيه بوضوح تلك الخطوط الرئيسية التي تربط الرجل بالمرأة برباط الزوجية . ويرز تلك الخطوط الدقيقة جدا التي يتعذر علينا رؤيتها أحيانا لتهدم حياتنا الزوجية من غير أن ندرى . وظللت كذلك مستمتعا بما أقرأ الى أن وجدت المؤلف فجأة يدير هذا الحوار بين أبطاله في القصة .

— وبماذا شعرت بعد أن قبلتها ؟

— كآنى ملك يخلق فى السماء بجناحي طائر جميل حول شعلة من نور .

— وهى ماذا كان شعورها ؟

— شعور المعبود الذى يتجهد العابد حول محرابه .

— تقصد انها كانت النور الذى تخلق حوله ؟

— وكانت أيضا النار التى تحرقنى .

— اذن أنت تحترق دائما ؟

— بكل أسف لا .

— لماذا ؟

— لأن الظروف لم تتح لى هذه السعادة دائما .

— كيف ألم تكن زوجتك ؟

— وهو ينظر اليه مقتظا — زوجتى ؟

- أجل زوجتك ..
 - طننتك أكثر ذكاء مما انت . أتظن أيها الغبي أن للقبلة
 الزوجية كل هذا السحر ؟ .. هذا النور ؟ هذه النار ؟ ..
 - ولم لا ؟ ..
 - اسمع ... انت متزوج .. اليس كذلك ؟
 - أجل ...
 - وتحب زوجتك ؟
 - أجل أحبها ..
 - صف لي شعورك عندما تقبلها ..
 - (بعد تفكير) الحقيقة لاشعور اطلاقا ..
 - اذن لماذا تريد مني أن أكون غير ذلك ؟
 - وهكذا كل زوج ؟
 - كل زوج واني أقسم لك غير حانت ، انه مامن زوج قبيل
 زوجته عن طيب خاطر أبدا .

ولست أدري لماذا ألقيت بالكتاب عند هذا . وزحمت أفكر .
 وفجأة رأيتهني أسأل نفسي .. هل حقيقة هذا الذي قرأت ؟ وهل
 الزوج فعلا اذا قبل زوجته فهو لا يقبلها عن طيب خاطر .. ؟
 وهل أنا كذلك باعتباري زوجا ، وزوجا أحب زوجتي وانزلها من
 نفسي منزلة كبيرة بل اعتبرها الجزء المكمل لحياتي . وهل حقيقة
 عاطفتي حيالها هي كذلك ليس لها تلك النار ولا ذلك النور
 الذي يكون للصديقة أو للعشيقة كما قرأت الآن؟ وفجأة سمعت
 وكان هاتفا يهتف في أعماقي قائلا :

- أجل انت أيضا كذلك ..
 وأحزنتني هذه الحقيقة الهائلة التي عرفتها في نفسي عن غير
 قصد وشغلتنني عن كل شيء حتى عن الغمض الذي كنت أهتم
 به وتمنيت أن أكون مخطئا وأن يكون مؤلف هذا الكتاب مخطئا
 أيضا . وفي الصباح أردت أن أجرب فانتهزت فرصة مناسبة
 بعد أن تناولت الافطار وشربت فنجان القهوة .
 وعندما هممت أن أنصرف الى عملي اقتربت من زوجتي وداعبتها
 فجأة على غير العادة ومن ثم أمسكت بيدها في لطف وقربت
 رأسها الى كتفي وشحنحت حواسي جميعا وهممت بتقبلها بيد

«أنها أشاحت عني بوجهها فجأة وهي تقول في غيظ .

— ماذا تريد ؟

— أقبلك ..

— ولماذا ؟ ..

— فقلت في خجل ..

— ألا يقبل الزوج زوجته ؟ ..

— وهل أنا زوجتك اليوم فقط ؟

— أنك زوجتي من زمن بعيد ..

— ولماذا إذن لم تقبلني منذ ذلك الزمن البعيد ؟

— انني أقبلك دائما ..

— في أوقات محددة فقط . ان لي معك عشر سنوات لا أذكر

«أنك أردت خلالها ما تريده اليوم اللهم الا اذا كان في مناسبة

— أي مناسبة ؟

— تلك التي تريدها أنت وتحددها أنت ، تماما كما لو كنت

قطعة من متاع بيتك . تعبت بها في الوقت الذي تشاء وتلهو

بها في الوقت الذي تريد وإن لم ترد فهي في مكانها سواء علاها

الصدأ أم غفرها التراب ، أما هي في غير هذه المناسبات السبعة

الثقيلة فأني أجهل من أنا بالنسبة اليك ..

— من أنت بالنسبة الى ؟

— أجل من أنا بالنسبة اليك ؟ هل أنا صديقة لك ؟ .. لا ..

فأنت لم تعاملني معاملة الصديقة .. هل أنا حبيبتك ؟ .. لا ..

«لأنك لم تقبلني مرة واحدة من غير مناسبة . كما أردت اليوم ..

هل أنا زوجة لك ؟ أنا كذلك فعلا .. لكن من شق واحد فقط ..

هو أنت .. هو تلك المناسبة التي تريدها أنت وتحددها أنت .

— ولا دخل لي فيها . لذلك فهي دائما مناسبة ثقيلة سمجة وددت

«لو تخلصت منها الى الأبد .. إذن ماذا أكون عندك حقيقة ؟ ..

— خادمة .. وخادمة فقط ..

— خادمة ؟ ..

— أجل خادمة فقط ..

— وماذا أكون أنا عندك اذا ؟

— زوجا فقط ..

- وغير الزوج ؟
 - لم تكن شيئاً .. كما انى عندك لم آكن شيئاً .
 - ولكنك ..
 - أظن الساعة الآن قد بلغت الثامنة وهو موعد انصرافك الى
 عملك . اليس كذلك ؟
 وانصرفت خجلاً أجفف عرق الحزى الذى يتصبب منى وفى
 الشارع التقيت عند محطة الاوتوبيس مصادفةً بذلك الرجل
 الذى يقطن أمامى ، وكان يتأبط ذراع تلك المرأة التى تعيش
 معه . وما رأنى الرجل حتى اقترب منى وصافحني ضاحكاً الثغر
 كعادته . وقال باسمها وهو يقدم الى تلك المرأة التى يتأبط
 ذراعها ..
 - زوجتى ..
 ولست أدري على وجه التحديد ما الذى حدث هل مدت يدي
 ثانية وصافحت الرجل ، أم تركته وانصرفت ، وهل امتدت
 صداقتي به بعد ذلك اليوم أم لم تمتد . وإنما الذى أنا متحقق
 منه وما زلت أذكره . ولن أنساه ماحييت . هو اننى بعد أن
 اضطررت الى أن انتقل الى مسكن آخر ظللت سنوات وسكان
 العمارة التى أقطنها يظنون اننى وزوجتى أصدقاء ولننا أبداً
 بزوجين سعيدين ..





كانت قاعة جلسات المحكمة الجزئية ضيقة محدودة الجنبات .
لضيق المبنى الذى اتخذ مقرا للمحكمة فى المركز . ففى لاتسع
لاكثر من عدة مقاعد خشبية متراكلة . أقيمت فى خطوط
مستطيلة أمام منصة القضاء الضخمة العالية التى ارتفعت
ارتفاعا عاليا عن أرض القاعة حتى لا يكاد الجالس على المقاعد
يرى وجه (درديرى أفندى) كاتب الجلسة الا بجهد وصعوبة .
ولذلك كانت تبدو القاعة فى أيام الأحاد من كل أسبوع وهى
أيام جلسات الجنب من كثرة الذين يفدون عليها من أهل الريف
وتزددهم فى جوفها . كانت تبدو كجحر النمل الذى يتسع
على ضيقه للآلوف المؤلفة من أسرابه - غير أنها كانت فى هذا
اليوم أشد ازدحاما وأكثر ضيقا وتبرما بأولئك الذين أخذوا
يتوافدون عليها من الصباح الباكر ويحشدون أنفسهم فيها
حشدا ويحشرونها حشرا حتى امتلات وفاضت فراحوا يتراصون
كتلا عند مداخلها ونوافذها .

وكانوا يبدون فى أسماهم البالية ولحاهم التى لم تعمل فيها
الموسى من شهور وشعرهم الكث الرث المغبر الذى لم يذق طعم
الماء الا فى المواسم والأعياد وسحتهم الشاحبة التى اختلطت
صفرتها بلون الصديد اللزج الذى أكل عيونهم ولم يبق فيها
سوى حدة صدمة باهتة بلون قطعة النقود المزيفة . كانوا
يلوحون فى ذلك كله فيخيل اليك أنك فى نهاية الدنيا . وانك
أمام قوم خرجوا لساعتهم من القبور ينفضون عنهم غبار آلاف
السنين التى قضوها فى جوف الأرض .

وكان هرجهم ومرجهم يتصاعد مختلطا بعضه ببعض بحيث
أنهم لا يسمعون صوتا أو يسمع لهم صوت ، فى وسط جلبتهم
التى هى أشبه بطنين النحل فى الخلية لا تميزه وان كنت تعرفه .
ولذلك لم يفتنوا لدرديرى أفندى عندما أقبل عليهم من الباب
الحلقى بطربوشه الكبير الذى بدلت الأيام لونه الواحد وحولته
الى عدة ألوان مختلفة . ونظاراته الحجرية البيضاء ذات الأسلاك
النحاسية الصدئة التى تدلت على أسفل أرنبة أنفه الضخم

المستطيل المذهب الذى جثم كالقدر على شاربىه الكثر الرث.
الملوث بالسائل المخاطى الذى انساب من طاقتي منخاره . ولم
يفطنوا اليه عندما أقبل ولم يلتفتوا اليه الا عندما ألقى بطلقات
القضايا الكثيرة أمامه على المنصة . ثم أخرج منديلته المحلوى
الكبير ذا الخطوط الثعبانية الزرقاء وجفف العرق المتصبب من
جبينه ثم مسح به منظاره الأبيض فتلوث أكثر من ذى قبل
وطمسته تلك المادة المخاطية العالقة بالمندبل فغدت زجاجاته
كالمرآة عندما تطمسها الانفاس الدافئة العابرة . ثم شبك
سلكيها فى أذنيه وهو ينظر الى الموجودين ويحييهم قائلا :

« يافتاح ياعليم - هسى ياغنم ... »

وهنا أحسوا به فانكمشوا فى جلستهم وانقطع لفظهم فجأة.
وتعلقت نظراتهم الشاحبة بعينيه وكانهم يستسمعون به فى
أنفاسهم المتصاعدة من بين شفاههم على الرغم منهم .
وفجأة فتح أحد الأبواب ودوى صوت الحاجب مجلجلا فى
قلب القاعة - محكمة - فوق الجميع وقد تعثر منهم من تعثر
وسقط منهم من سقط وهو يسرع بالوقوف اجلالا وتعظيما .
وأمر القاضى بافتتاح الجلسة فى صوت هادئ رزين .
وأعلن ذلك درديرى أفندى بصوت أجش مرتفع وعيناه تقذفان
الشرر من تحت منظاره الملوث وهو ينظر فى غيظ الى القضايا
المكدسة أمامه . والدوسيهات الكثيرة الضخمة التى غرق فيها
حتى طربوشه الأصفر الباهت الذى لم يبق القدر من زره غير
فتلات أربع انتشرت فوق قرصه الشاحب هنا وهناك بغير
انتظام ..

وراح الحاجب ينادى أصحاب القضايا بصوته التقليدى
ذى النغمة الطويلة والمدو الجزر المصطنع وكأنه يجارى عمه محروس.
بائع الفاكهة المجاور للمحكمة الذى ينادى على بلحه الامهات.
الحامض ويدفع عنه أسراب الذباب المتجمعة عليه بمذبته القش.
المتأكلة وهو يردد مغنيا « صلاة النبى على عيشة وبلع عيشة » ..
يارب يوم الوداع لم كان يا عيشة .. وكان الحاجب رغم كبر
سنه (وكرشه) المنتفخ المتكور أمامه كالكتل المنكفى . وعينيه
الرمضاوين اللتين لا يفتحهما الا كلما نادى وأذنيه الكبيرتين
المقلبتين على صفحتي الوجه كأذني كبش سمين . كان بالرغم

من ذلك يشكو ضعف حاسة السمع عنده فهو لا يسمع الكلمة الا اذا انصبت في أذنيه انصبابا . ولكن لا يظهر الناس على هذا العجز الذي ربما يكون سببا في اقصائه عن المحكمة بعد أربعين سنة قضاها يتمرغ على بابها ويستقبل كل قاض جديد ويودع كل قاض منقول ويتفرس في وجوه المتقاضين ، ثم يسقط كالنسر الجارح على الصيد السمين ويمتص دمه ، ثم يعود متفرسا في وجه غيره الى أن تنتهي الجلسة . لذلك كان يعز عليه حتى مجرد التفكير في الموت فيحرم بذلك من وظيفته التي تدر عليه المال الوفير .

ولذلك أيضا كان يهتم دائما بأذنيه حتى لا يلاحظ أحد عليه هذا النقص فيه فكانت له بديهة حاضرة وسرعة خاطر غريبة في التقاط الكلمات ، ولكنه كان لا يلتقط أبدا الا حروف الاسم الأولى ، ثم يكمله من عندياته وينطقه كيفما يريد ولكنه لا ينطقه على حقيقته أبدا .

فمثلا منصور ينطقه (مندور) والمستكاوي ينطقه (السقاوي) والشافعي ينطقه (الشاذلي) وهكذا الا أن هذا كان يثير دائما حفيظة درديرى أفندى الذي يعتبره خروجا على القانون . وانتهاكا صارخا لحرمة اللاتحة الداخلية للجلسة . وكثيرا ما كان يسبب هذا خلافا بينهما يكاد يحتدم ويعكر صفو الجلسة لولا تنبه القاضي الذي يحسمه في الحال بدقات قلعه الرصاص على المنضدة .

ولكن هذا الخلاف كان يحتدم بينهما اليوم ولا تنفع فيه دقات قلم القاضي ولاحتي صرخاته .

وذلك عندما طلبت القضية رقم (٧٦) وراح الحاجب ينادى اسم الشاهد محمد بك السماوى . فنظر اليه درديرى أفندى من تحت منظاره السميك الملوث مقتظا وصاح (السماوى) ولكن عم جمعة الحاجب لم يسمع وعاد ينادى محمد بك - السماوى -

وهنا ثار درديرى أفندى وأرغى وأزبد وقال وهو يلقي بدوسيه القضية أمامه ناسيا مقام القاضي ودقات قلعه الرصاص (السماوى) ياسى جمعة . فيها لام - ياسى جمعة) وهنسا أدرك عم جمعة خطاه وهم أن ينادى اسم البك صحيحا لولا أن

البك أقبل يتهادى فى خطواته الهينة الرزينة • ومشى الهوينى
مصغر الحد يختال كالطاووس فى جلته الغالية تسبقه رائحة
عطر جميل متضوع • وتبدو عليه دلائل النعمة الوارفة وتظله
عظمة الجاه العريض ويرتسم على محياه المشرق العطر صلف
العنجهية التركية القديمة • يرفع يده بين الآونة والاخرى الى
عنقه ليصلح رباط رقبتة الأحمر القانى ، وليجعل شعاع الماسة
الثمينة التى حل بها خنصره تعبت بالعيون •

وما أن أقبل على فناء القاعة حتى راح يلقي بنظرات الاشمزاز
والتأفف حواليه كأنه يؤنب المحكمة التى جمعت بينه وبين هذا
القطيع البشرى فى هذا اليوم الكرى • ثم مثل أمام القاضى
منشفلا عنه باصلاح الدبوس الذهبى الكبير الذى زين به رباط
رقبتة والذى حلاه هو الآخر بقطعة غالية من الماس البراق
فقد الدبوس بما فيه الماسة الغالية يداعب عيون القاضى حتى
كاد ينسيه نفسه لولا أنه أدرك فحول عينيه متمما •

— والله العظيم أشهد بالحق —

— والله العظيم أشهد بالحق —

والقى سعادة البك بشهادته التى تخلص فى أن المتهم —
الفلاح — الذى يشتغل فى احدى ضياعه ، ضبط متملبسا بجريمة
السرقه • وقبض عليه وهو يخفى فى ثيابه (ستة كيزان) من
الأذرة الأخضر •

والتفت القاضى ناحية الشمال فرأى شيخا فى السبعين من
عمره يقف متهاككا على نفسه ، يكاد كلما قام تقعذه ساقه
المرتعشة وتثنيه ذراعه المهزولة المقرورة فلا يسهه الا أن يهمهم
بشفتيه وهو ينظر الى أعمدة القفص الحديدية التى التفت حوله
وكل آماله أن تقوى أنامله على القبض عليها لتعينه على الوقوف
احتراما لوقار المحكمة • وأخيرا استطاع أن ينهض ووقف على
ساقين معوجتين هزيلتين • ولما اعتدل فى وقفته أخذ جسده
المقرور يصطك داخل قميص من الجيش الخشن على صدره شارة
زرقاء مرقومة ١٢٤٣ غدت هى الاخرى تتأرجح مع خفقان الصدر
المكدود المضطرب الذى يعلوه عنق مترهل ، وقد هذه الزمن
فانحرف عن وضعه الطبيعى ومال بالراس المحموم والوجه
المغضن على الصدر الحافق المضطرب ، وتأثر القاضى لمنظر الشيخ

وراح يتفرس بامعان في مسحنته الشاحبة المتوارية خلف حية
كثثة كانت شعراتها المتتوية الصغيرة تنحجب حتى ذلك الشعاع
الخافت المنبعث من عيني ضيقتين كأنهما في الوجه المفضن الذي
مال به العنق ذباله مصباح قد نضب ما في جوفه من زيت •
وتائر القاضى وهو يتفرس في صورة من صور الشسقاء
أمامه ترمز الى بؤس الانسان في الدنيا وترك في نفسه حسرة
كادت تميّت عينيه على وجه الشيخ وتنسيه نفسه لولا أنه تدارك
فقال على الفور :

— ما الذى دفعك للسرقه يا منصور ؟

فعمل الشيخ بلسانه فى شفّته المترهلتين ، ثم تمت بصوت
كأنه رجع الصدى فى جوف الصمت •

— الجوع ••

— وكيف سرقته ؟

— لقد عضنى الجوع وأنا أسير بين حقل الأذرة الذى زرعته
بيدى • وتعهده بعرق جبيني حتى أثمر ••
وأطرق الشيخ صامتا ••

فقال القاضى وهو ينظر فى كتاب كبير أمامه •

— وهل يدفع الجوع الى السرقه يا منصور •• ؟

— وان لم يدفع اليها الجوع ياسيدى هل تدفع اليها التخمه •
وارتعدت أنامل القاضى وهو يكتب شيئاً بقلمه الرصاص
ويقول :

• — ولكن من سوء حظك يا منصور أن واضع القانون ، لم يكن
يشكو من الجوع ••

ثم التى بالقلم وهو يتمم •

— خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ •

وانصرف البك يختال كما أقبل فالقى سيارته الحمراء الفخمة
الكبيرة تنتظره أمام المحكمة ، وما أن أقبل عليها حتى طالعه
وجه كلبه الودلف الكبير يصبص له بذنبه • فتقدم منه البك
ومسح على رأسه وطاعبه قليلاً ثم أخرج من جيبه جنيهاً فأوله
الى السائق وهو يقول مشيراً الى الكلب ••

— اشتر ثلاثة أرطال من لحم الضأن وقمها اليه ، فقد
تأخر هنا عن موعد الغذاء ••



البطل الصغير

منذ زمن كنت أستمع الى المقرئ فى المذيع ، يوتل بعض
 آى الذكر الحكيم ، ولست أدري لماذا وقفت عند بعض الآيات
 طويلا واسترجعت بعض عباراتها طويلا أيضا ، ورحت أفسر
 معانيها بالقدر الذى يسمح به تفكيرى ، وأشهد بأنه كان تفسيرنا
 ملتويا غير واضح لى ، حتى ضقت بما شغلت نفسى به ، ووددت
 لو طلع النهار ، وذهبت الى رجل من رجال الدين يفسر لى بعض
 ما استغلق على من الأمر ، وظللت كذلك الى أن غفلت عيناى فجأة •
 فرايتنى فى مكان لا عهد لى به من قبل ، أجلس بعيدا عند
 ربوة عالية تظللها سحابة بيضاء ناصعة ، كأنما القمر يصب
 ضحكاته عليها ، وتظللها أشجار مورقة خضراء ، ذات ثمار
 دانية القطوف ، وتنساب من رأسها نافورة كبيرة ، ترسل ماء
 عذبا كأنه السلسبيل ، يتساقط على بساط من سندس ، عند
 قدمى صبي فى الثانية عشرة من عمره ، له وجه ملاك كريم راح
 ينقل الخطى نقلا ، وكأنه يسير على تكئات من حرير ، وفجأة
 رأيت شعاعا من نور ساطع كأنه الفلق ، تكشف رويدا عن
 فتاة لم تر العين أجمل منها ، أقبلت ترفل فى ثوب يتضوع
 نورا وبهاء ، وما ان رأت الصبي حتى نظرت اليه ضاحكة وكأنها
 تعانقه بعينيها ، ونظر الصبي اليها وكأنه يقبل ثمرها المنور
 بعينه ، ثم أخذ يسير ان جنبا الى جنب ، حول الربوة الجميلة
 التى تظللها الغمامة البيضاء • الى أن قالت الفتاة للصبي وهى
 تضاحكه على استحياء •

— ما الذى جاء بك الى هنا ؟

فقال الصبي ضاحكا وهو يلعب بيديه المنورتين فى السلسبيل
 العذب الذى ينساب عند قدميه :

— وطنى ••

— كيف ؟

فقال الصبي :

— يسمون وطنى فى الدنيا مصر ، وكنت أعيش مع أمى فى
 القنال •• وكنت صبيا لم أتجاوز بعد الحادية عشرة من عمرى •

وذات مساء ، وكانت تدثرني أحضان أمي ، سمعت شيئاً مديوا
في الليل ، أشبه ما يكون بالرعد القاصف . فسألت أمي ،
فقالت وهي تضميني إلى صدرها خائفة ترتعد :

— أنه رصاص المستعمر يابني .

— ولماذا يطلقونه يا أماء ؟

— ليقتلوا به العزل الآمنين .

— ولماذا يقتلونهم ؟

فقالت أمي : والدموع تترقرق في عينيها :

— ليستبيحوا لأنفسهم بهذا الرصاص ، محرم الله يابني ،
لينتهكوا حرمة هذا الوطن العزيز ، ويدوسوا أرضه المقدسة
بنعالهم النجسة ..

— ومن الذي أعطاهم هذا الحق يا أماء ؟

— هذا الرصاص الذي تسمع يابني ..

وهممت بأن أقول لها شيئاً آخر ، ولكن الدموع التي انسابت
من عينيها غزيرة بكاء ، كانت قد غمرت وجهي وطمست شفتي
فلم أنبس وإنما رحت أحدث نفسي طويلاً ، وراحت نفسي
تحدثني أيضاً حديثاً طويلاً ونظرت إلى أمي وهي نائمة تغمر
الدموع وجهها .. وكلما سمعت رصاصة مدوية تنطلق طائشة
في الليل ، ارتجف جسدها في النوم ، وتحسست رأسي الصغير
بيديها ، وكأنها تخشى عليه من هذا الرصاص الذي تسمعه
وفكرت .. فكرت طويلاً .. وفجأة دوت في أذني كلمة هائلة
كان لها دوى الرصاص الذي نسمعه أو هي أشد قوة .. تلك
هي قولة أمي لي وهي تبكي « ولينتهكوا حرمة هذا الوطن العزيز
يابني ، ويدوسوا أرضه المقدسة بنعالهم النجسة » .

وأحسست بالنار تسرى في كياني ، كما سمعت هاتفاً يهتف
في أعماقي قائلاً :

« ان هذا الرصاص وان مزق صدرك تمزيقاً ، واخترق
جسدك هذا النجيل وفتت رأسك هذا الصغير يابني .. لا تهون
على النفس من رؤية تلك النعال النجسة ، وهي تدوس أرضنا
المقدسة » وصمت الصبي حيناً ثم قال للفتاة ضاحكاً :

وكنا أثرياء • لأننا كنا نملك فى تلك الليلة نصف صفيحة
من البترول • وكنا أثرياء أيضا لأننا كنا نملك حشية من
القطن أنام عليها • فكان ان غافلت أمى النائمة ، وتسلمت
فى الليل وجئت بسكين حامية مزقت بها الحشية • ومن ثم
رحت أخرج قطنها وأحزمه حزما صغيرة ، هكذا هدانى عقلى
الصغير ، ثم وضعتها جميعا فى قلب سروال قديم كنت أملكه
ومن ثم صبيت عليها نصف صفيحة البترول التى كانت عماد
ثروتنا •

وخرجت من الدار فى جنح الظلام أسير على مهل وأنا أسعد
ما أكون انسانا بهذا الكنز الثمين الذى أحمله على كفتى • بيد
أننى بعد أن سرت خطوات تذكرت شيئا هاما • تذكرت وجه أمى
الذى تغمره الدموع • والذى قد لأراه ثانية • فعدت الى
الدار سريعا • وجثوت فى الظلام عند رأسها وتطلعت طويلا الى
وجهها وطويلا أيضا الى شففتيها الحلوتين اللتين كثيرا ما قبلت

بهما ثغرى • ثم قبلت ذلك الوجه • وتلك العينين • وهاتين
الشففتين • قبلتهما طويلا جدا ، وقبلتها بعينى حتى لا تستيقظ
فتحول بينى وبين ما قد عقلت العزم عليه • ثم ودعتها فى
صمت • كما قبلتها فى صمت ، وانصرفت أسير فى الليل بين
تلك الذئاب البشرية ، غير خائف أو وجل • وكنت من فضل
الله أعرف أين تقع بيوت الأعداء • لأننى كنت قد اشتغلت
حينما فى معسكراتهم • وما ان سرت قليلا حتى رأيت الرصاص

كالمطر يتساقط من حولى • ولكن رصاصة واحدة لم تصبني •
فأطربنى هذا كثيرا • وقلت ان الله معى حتى أبلغ غايتى وأتم
رسالتى ، وأقضى لوطنى حقا • فظللت أسير ، وأسير • •
حينما على قدمى • • وحينما أزحف على يدى • • وكان الله هدانى
بقوة من عنده ، فقد تحمل جسدى هذا الصغير فى تلك الليلة
مالم يقو بشر على احتماله • حتى بلغت معسكراتهم عندما مطلع
الفجر • فوجدت القوم قد اسكرتهم نشوة القوة الفاشسة •
فغدوا كالسكرارى وماهم بسكارى • ولكن الله قد طمس على
قلوبهم فهم لا يبصرون • فتسلمت دون أن يرانى منهم أحد •
وكنت قد سلكت حزم القطن المبللة بالبترول جميعا فى خيوطه

لا ترى ٠٠ فوضعت منها ست حزم فى ستة أماكن مختلفة ، كان أهمها مخزن رصاصهم الذى يطلقونه علينا ٠٠ ومن ثم نظرت الى السماء ٠٠ وقلت مبتهلا وأنا أشعل عود الثقاب - يارب - وفجأة هبت النيران كالبركان أو هى أشد قسوة مما كانوا ينتظرون ، ورأيت بعيني رأسى جنودهم فى الليل تصرخ ، كالذئاب العاوية ، وتتخبط فى النار كالثعابين الضريرة ، كما راحت نساؤهم تصرخ فى الليل مفجوعات ٠

وكلما أخذ السعار جنديا من جنودهم أو امرأة من نساؤهم وهم بأن يفعل شيئا سبقته النار وألقت بجسده فى أتونها المستعر ٠

ووقفت أنا من بعيد أنظر مبتهجا الى هذه النار المشتعلة والجثث التى تحترق فيها كالفراشات وأضحك ملء شدى حينها ، وحينما أقبل بشفتى الفرحتين ، تلك الأرض الطيبة التى ذدت عنها نعالهم النجسة الى أن راوونى على ضوء النار التى تحرقهم فصبوا بنادقهم الى ، ومن ثم أطلقوا على جسدى هذا الصغير رصاصهم ٠٠

وانفجرت أساور الفتى عن ابتسامة كنور الفجر ، وقال ضاحكا وهو يستقل على صدرها ، وينظر الى عينيها المنورتين ٠٠

- وقد ظن المساكين أنهم انما صرعونى برصاصهم ، الذى اخترق جسدى ومزق صدرى وفتت عظام رأسى وأطاح بفرونها الى حيث النار التى تأكلهم أبدا وايم الحق ، فقد رفعنى الله الى السماء ، قبل أن تصيبني رصاصة واحدة ، من رصاصهم الغادر ٠ وما أن أتم الصبي قصته ، وبلغ هذا الحد ، حتى قالت له الفتاة مبهورة وهى تعانقه عناقا حارا :

- وما اسمك أيها الملك الكريم ؟

- فقال الصبي معتزا ٠ وهو يلعب بيديه المنورتين فى جدول يتفرق عند قدميه :

- يسموننى فى الدنيا « نبيل منصور » ويسموننى فى الجنة البطل الصغير ٠

وما أن قال ذلك حتى رأيت شعاعا من نور ، ينبلع من السماء
ويضمهما ثم يجذبهما اليه ويصعد بهما رويدا الى السماء .
وبينما أنا أنظر الى هذا النور الذي يغيب في السماء رويدا .
إذا بي استيقظ من هذه الغفلة التي كانت قد ألمت بي . وإذا
أنا لا أزال أمام المذبح وإذا بالمقرئ لا يزال يرتل آي الذكر
الحكيم ويتلو هذه الآية :
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء
عند ربهم يرزقون » .





الزوجه اسامع

« المنظر »

« غرفة متواضعة الاثاث بمنزل عبد السميع أفندى الصنافيرى
الموظف بأرشيف وزارة الاوقاف • بها برية قديم تعلوه امرأة
مكسورة • وفى الوسط تراييزة رخام قديمة حولها عدة كراسي
وعليها صينية نحاس بها أبريق وثلاث قفل • وفى الصدر كنية
عليها مرتبة بدون غطاء • عند رفع الستار ترى نفوسة ابنة
عبد السميع أفندى • تمشط شعرها فى مرآة البريه • وهى
فتاة متقدمة فى السن غير جميلة • الوقت بعد الظهر »
نفوسة - « مترنحة » جميل جمال مالوش مثال •
« يسمع صوت الست منتهى والدة نفوسة من الداخل »
منتهى - بنت يا نفوسة • •
نفوسة - نعم يا اما •
منتهى - بصى يا بنت من التراسينة واسأل على الساعة
شوقها كام •
نفوسة - ثلاثة وربع •
منتهى - « وقد ظهرت تحمل بعض الارغفة » ولما هى ثلاثة
وزقت ، بسلامته أبوك ما شرفش ليه ؟
نفوسة - حالا زمانه جاى •
منتهى - هى كل يوم للساعة أربعة من غير غدا ؟
نفوسة - المواصلات يا اما • يعمل ايه وانت عارفة الترموايات
وزحمتها •
منتهى - ويعنى لازم يركب ؟ مايجى ماشى •
نفوسة - يا شيخه حرام عليكى انت عايزة تهدى حيله ؟
منتهى - حيله دا ايه ياختى ؟ الى مافيه ريحته • قال على
راى المثل •
نفوسة - « مقاطعة » طب لما انت عارفة •
منتهى - ويعنى يبقى هم وقلة هم • وهى تخرج شمالا • انت
صفيتى العدى ؟

نفوسة - أيوه وعلى الوابور .
 منتهى - طيب يا لله بلى العيش - واغسلى الفجل « تخرج » .
 نفوسة - « تعود تمشط شعرها وهي تغنى » جميل جمال -
 مالوش مثال ولا فى الحيال .
 منتهى - « وقد دخلت ثائرة » ينيلك على عمرك وعمر اللي
 جابك انت يامقطوعة الرقبسة واقفة تتزوقى ، وتحطى أحمر
 وأبيض وتخططى حواجبك وسايبة العدس على الوابور يتحرق .
 نفوسة - « فى دهشة » اتحرق ؟
 منتهى - « فى غيظ » الهى يتحرق قلبك لكن مافيش فايدة
 عمرك مانت متجوزة . يتجوزك على ايه يا جسة ؟ مالك ولا جالك
 ولا بسلامته أبوك سبع البرمبة . حيا الله جتت مستوظف برانى
 فى وزارة الاوقاف بتسعة جتية .
 نفوسة - أنا مش عاوزة اتجوز .
 منتهى - لا حوشى . حوشى . الخطاب صلاة النبى واحد
 ورا الثانى « وهى تخرج » بقى يارب ماتبعتلهاش حتى ابن الحرام
 اللى يريحنى منها . الناس كلوا وشى ثمانية وعشرين سنة .
 ولسه بنت بنوت « تخرج » .
 « يظهر من باب الوسط حسبو » وهو بوسجى الحى يحمل
 حقيبته الجلد الكبيرة على كتفه وعارى الرأس . فى العشرين من
 عمره . التبخ ، ينطق السين والشين ثاء .
 نفوسة - « عندما تراه تشير اليه فى خوف » اخرج دلوقت
 ماما هنا وبابا زمانه جاي .
 حسبو - « هامسا » ماتخافيش عامل حثابى « يقترب منها »
 فكرت على فكرة مدهشة خالت .
 نفوسة - ايه هى ؟
 حسبو - ثوفى ياتنى . كتبت لك ثوية جوابات باثم الثت
 أم نفوثة وباثم ثى عبد التميع أفندى ولزقتك عليهم ورق .
 البوثة ورميتهم فى الثندوق .
 نفوسة - « فى دهشة » وبعدين ؟
 حسبو - بث طولى بالك . لقت الجوابات وجاتنى فى
 التوزيع .
 نفوسة - وبعدين .

حسبو - بث طولى بالك • ثلثهم فى الشنطة ، ان لى عبد الشميع
أفندى زبطنى وقال لى ليه انت هنا أخط ايدى فى الشنطة وأقول
له اتفضل جواب وان التت منتهى زبطتنى أخط ايدى فى الشنطة
وأقول لها اتفضلى جواب •

نفوسة - « فى غزل » وان مالميتش حد ؟

حسبو - « مغازلا » أناهد •

نفوسة - تعرف انها فكرة هائلة •

حسبو - اثل محشوبك ذو تفنن •

نفوسة - لكن قوللى الجوابات دى جاية منين ؟

حسبو - من المنيا •

نفوسة - المنيا ؟!

حسبو - مئ انتوا منقولين من هناك بقى لكم ثهر ؟

نفوسة - طيب ومن مين فى المنيا ؟ •

حسبو - ولا يهكم أى اثم •

نفوسة - انت هایل •

حسبو - قلتلك ان محشوبك ذو تفنن •• خدى •

نفوسة - ايه دى ؟

حسبو - الحلوة ••

نفوسة - « وهى تقض الورقة » قلت لك ماباحبش الحمصية

حسبو - بث بتحبى ايه آمال ؟• علف ؟• ثمسمية •• ؟

طحينية •• ؟

نفوسة - سمسمية ••

حسبو - عنية - حالا تكون عندك أرجع لك بيها •

نفوسة - ماما تشوفك •

حسبو - « يشير الى الشنطة » ماتخافيت الاثباتات موجودة •

بث ياخسارة •

نفوسة - ايه ؟ •

حسبو - امتى بث ح نتجوز •

نفوسة - ماقلت لك قول لماما •

حسبو - ائلهنا تعب خالت خايف أقولها تثتمنى « يفكر »

اثمى •• أقول لئى عبد الشميع ؟

نفوسة - ايوه قول لبابا •

- حسبو - فكرة وكم ان آقوله انك موافقة .
- نفوسة - او عى احسن يفتكر ان احنا بنقابل بعض .
- حسبو - بوضه فكرة احسن تبوظ .
- نفوسة - يالله بقى قبل ماما ماتيجى .
- حسبو - بث نفشى فى حاجة .
- نفوسة - ايه هي ؟
- حسبو - بوثة .
- نفوسة - « باغراء فى صوت مرئم » وبعدين معاك ؟
- حسبو - « فرحا يغنى » .. وبعدين معاك . وبعدين معاك .
- نفوسة - انت تعرف تغنى ؟
- حسبو - ائلى احب أم كلثوم « يقترب منها » بوثة . بوثة .
- (تظهر منتهى على الباب)
- حسبو - « سريعا بصوت عالى » بوثة .
- منتهى - « فى غضب » انت ياواد عامل زى أبو قردان عمال
- تنط لنا كل ساعة والثانية ليه ؟
- حسبو - ائل فيه جواب لحضرتك .
- منتهى - « فى دهشة » لين ؟
- حسبو - لحضرتك .
- منتهى - حضرتى أنا ؟
- حسبو - ايوه اتفضلى « يخرج خطابا من الشنطة » .
- منتهى - ياترى من مين لا باكتب لحد واحد بيكتبلى ؟
- « استغراب » ..
- حسبو - « يقرأ العنوان مفخما » ..
- حضرة الثيدة المثنونة والجوهره المكنونة حرم نى عبد الصميع
- الثنافيرى ..
- منتهى - « فى ابتهاج » الثنافيرى ؟
- حسبو - « مستبظدا » الثنافيرى بمنزله الكائن بحارة
- البرزجات ثبرا . مش .
- منتهى - « وهى تجلس على الكنبه فى كبرياء » صحيح دا
- اسمى استقرا ثانى .
- حسبو - « وقد جلس بجوارها مطمئنا » حضرة الثيدة المثنونة
- والجوهره المكنونة ثت الحشن والنشب الثت منتهى حرم نى

عبد السميع أفندي الشنايفرى بمنزله الكائن بحارة البرجات
ثبرا متر .

منتهى - « فى طرب زائد » خير . ؟ اللهم اجعله خير ، استقرا
ياخويا استقرا .

حسبو - « يفض الخطاب ويقرأ » حضرة الشيعة المثونة
والجوهرية المكنونة ثت الحزن والنسب .

منتهى - « مقاطعة فى زهو » ماكفاية بقى حسب ونسب .

حسبو - الله مكتوب كمان كده فى الجواب .

منتهى - « فى كبرياء » كده ؟ طيب استقرا .

حسبو - « مستطردا » الثت منتهى أم الثت نفوثة ، حرم
ثى عبد السميع أنظر لك وأنا لكلامك ثماعه .

منتهى - سماعه ؟ سماعه يعنى ايه ؟

حسبو - « ثماعه » . « يفكر » ثماعه يعنى بتشمعلك .

منتهى - هيه كمل .

حسبو - واكتب لك وأنا لطلعتك مثناقة أما الثت نفوثة
ناحبة الطلعة البهية التى ثورتها فى قلبى ورثمها فى عيى ،

ثلمى عليها وحياة رب الثما . يجمع ثملها على ابن الحلال الذى
يحبها .

منتهى - يسمع منك ربنا يا ابنى . من حنكك للسما استقرا
ياخويا استقرا .

حسبو - والثلام ختام .

منتهى - من مين ؟

حسبو - الثت أم على بالنيا .

منتهى - « مفكرة » الست أم على بالنيا . الست أم على
بالنيا . افتكرتها ، خالتك أم على مرات عمك الشيخ فراج

مدرس العربى .

حسبو - مذبوط وعشان كده خط الجواب بالثنخ .

منتهى - عز الحبايب « مفكرة » انت اسمك ايه ياسى .

حسبو - محثوبك حثبو .

منتهى - ايه . ؟

حسبو - حثبو . حثبو .

منتهى - عاشت الايامى ياسى حسب الله .

حسبو - حثبو • حثبو •
 منتهى - ياخويا حسبو حسب الله حسبي الله • كله واحد •
 و حضرتك كده بالصلاة على النبي ياسى حسبو بتشتغل ايه ؟
 حسبو - موزع بوثة •
 منتهى - يعنى طواف ؟
 حسبو - مذبوط •
 منتهى - كويس قوى و كمان كده بالصلاة على النبي بتاخذ
 ماهية كام ياسى حسبو ؟
 حسبو - « شريعا » ثبقة مثرى وثقف • •
 منتهى - ايه ؟
 حسبو - ثبقة مثرى وث • •
 منتهى - يعنى سبعة جنية ونص •
 حسبو - مذبوط ولما اتجوز تزيد ماهيتى نث جنية ولما أخلف
 تزيد ماهيتى اثنى جنية •
 منتهى - طب وليه ماتتجوزش علشان تخلف ؟
 حسبو - ائلى مكثوف أقولك •
 منتهى - ايه مانتاش راجل ؟
 حسبو - « غاضبا » راجل ونث •
 « يدخل عبد السميع افندى لاهنا ويبدوا عجوزا متعبا فى
 نياى غير منتظمة •
 عبد السميع - خير مين حضرتك ؟ •
 منتهى - « فخورة » الجوابتجى بتاع الحى كله •
 عبد السميع - نعم فيه خدمة ؟
 حسبو - ائلى فيه جواب للثت أم نفوثة •
 عبد السميع - جواب لأم نفوسة من مين ؟ •
 منتهى - خالتك الست أم على مرات عمك الشسيخ فراج
 مدرس العربى •
 « تلتفت لحسبو » أصله بيغير •
 حسبو - اتأذن « يخرج »
 عبد السميع - لنفسه وهو : زرع الجاكطة فيظهر قميصه
 البالى ، ٢٠٧/١١/٣٠
 منتهى - ايه انت بتكلم نفسك ولا ايه ؟

- عبد السميع - ما فيش حاجة •
 منتهى - آمال ايه ٣٠ و ١١ دى ؟
 عبد السميع - دى نمرة دوسيه متقيد فى الوارد ومش لاقيه
 فى الصادر •
 منتهى - ياخويا احنا فى ايه ولا ايه •
 عبد السميع - نفوسة فىن آمال ؟
 منتهى - أهى متنبيلة على عينها وعنين اللي خلفوها جوهر حرق
 الشوية العلس •
 عبد السميع - « مضطربا » ايه ؟
 منتهى - حرق شوية العلس اللي كنا حانتقدي بهم •
 عبد السميع - « ناثرا » وحضرتك كنتى فىن ؟
 منتهى - بارقع لك غيارك اللي ماعندكش غيره ياسى
 عبد السميع ••
 عبد السميع - « مناديا فى ثورة » بنت يا نفوسة • نفوسة -
 نفوسة - « تظهر » نعم يا بابا •
 عبد السميع - « ممسكا بها » تعالى هنا •
 منتهى - اوعى تحط ايدك عليها •
 عبد السميع - أنا لازم أقطع وشها بالجزمة •
 منتهى - ماتطلعش فيها قوى فىن هى الجزمة دى •
 عبد السميع - يعنى بلاش أتغدى ؟ يعنى لايبقى فطار
 ولا غدا كمان ؟
 منتهى - ياخويا لقمة وخلص مالها حنة جينة قريش ؟ فل •
 وحزمة فجل تفتح النفس •
 عبد السميع - ياستى ايه هى اللي تفتح النفس ؟ هو أنا
 نفسى مسدودة الأمر لله هاتى ياستى فتح النفس •
 منتهى - « لنفوسة » بالعجل حضرى الغدا لا بوك •
 نفوسة - « تخرج » •
 منتهى - معذورة • معذورة - عقلها مش فيها • بقولك ٢٨
 سنة •• آمال أنا دايدة عمالة أعيط ليل نهار ليه ؟
 (تجلس بجانبه على الكتبة ، اسمع يا عبد السميع أنا عندي
 فكرة) ••
 نفوسة - « تدخل الصينية عليها الجبن والفجل » •

عبد السميع - لا فكرة ولا زفت أنا خلاص لقيت لها عريس .
منتهى - والنبي « تحاول أن تزغرد » .
عبد السميع - « وقد أسرع يسد حنكها » يا أولية
ما تفضحيناش . . .

منتهى - مش بتقول لقيت لها عريس ؟
عبد السميع - مش تطولي بالك يمكن ماننتهيش .
منتهى - ماننتهيش ليه . . . مادام العريس موجود والعروسة
فى الدار . . .

نفوسة - « تضع أمامه الصينية على الكنبه وتخرج خجلى » .
منتهى - شوف البت لما سمعت . . . الفرحة بتتنطط فى عينيها
ازاى . . . فرحتى ومين العريس ده ؟

عبد السميع - فلاح وعنده سبع فدادين .

منتهى - سبع فدادين « تحاول أن تزغرد » .

عبد السميع - يا أولية ما تفضحيناش . . .

منتهى - فرحانة - فرحانة - يا عبد السميع .

عبد السميع - اسمعى احنا عندنا بن ؟

منتهى - ريحته مش عندنا .

عبد السميع - عال والله الراجل يخطب البنت وييجى ويطلع
وما يشرش فنجان قهوة .

منتهى - مالكتش دعوة أنا ح اتصرف . بس قولى . والعريس
ده يبقى مين ؟ . . .

عبد السميع - يبقى أخو الششتاوى أفندى كاتب القيودات
عندنا فى الوزارة .

منتهى - « تحاول أن تزغرد » .

عبد السميع - يا أولية اعقل . . .

منتهى - يا أخويا فرحانة . فرحانة .

عبد السميع - « ينظر فى ساعته » يا خبر الساعة
خمسة ونص .

منتهى - فيه ايه ؟

عبد السميع - الراجل مستننى الساعة ستة فى قهوة صرة
مصر أروح أجيبه واجى .

منتهى - نهار اسود وقاعد .

عبد السميع - « يحشر لقمة كبيرة في فمه مع عود من الفجل ويخرج » .

منتهى - « منادية » بنت يانفوسة . نفوسة .
نفوسة - « تظهر » .

منتهى - بالعجل اغسل رأسك من طوك والبسى الجلبيبة البطيسطة . والشبشب أبو وردة .
نفوسة - له ؟

منتهى - « متهمكة » مش عارفة له ؟ أصل فيه عريس جاي لامك ..

نفوسة - حاضر .

« يظهر حسبو حاملا الشنطة » .

حسبو - بوثة .

منتهى - « نائرة » انت ياجدع انت عامل زى أبو قردان .
وعمال تنشط لنا كل ساعة والثانية له ؟

حسبو - « لنفسه » أخت . أخت .

« ولنتهى » اثل اثل .

منتهى - لا أصل ولا فصل اتفضل ورينى عرض كتافك .

حسبو - اثل اثل .

منتهى - « ويدها على الشبشب » انت ح تطلع والا ..

حسبو - « يخرج سريعا فى خوف » .

منتهى - اسمعى أنا ح أوصل لحد الست أم لمعى استلف منها شوية بن والصينية والكنكة بتوعها وان جه أبوك مع العريس اخطفى رجلك اندهى لى .

نفوسة - حاضر « تخرج منتهى وخلفها نفوسة » .

ويدخل حسبو متلصصا يتلفت حواليه .

حسبو - « يشير الى الباب » اتفضل .

(يدخل حسنين الخطيب وهو فلاح عملاق يقتل شواربه)

حسينين - مش دا يبقى بيت سى عبد السميع أفندى الصنافيرى المستوظف فى وزارة الاوقاف ؟

حسبو - مذبوط .

حسينين - أهلا وسهلا ، أهلا وسهلا ..

حسبو - وحضرتك ؟

حسنين - انشاء الله أنا نسيه الجديد .
 حسبو - « لنفسه » احث .. بقى حضرتك تبقى ؟
 حسنين - « مقاطعا » محسوبك حسنين أبو جاموس من
 اعيان زنجور مركز البتانون مديرية المنوفية .
 حسبو - ثرفت .
 حسنين - أخويا سى الششتاوى أفندى أبو حلموس
 مستوظف كبير فى قيودات وزارة الاوقاف . انت ماتعروش ؟
 حسبو - ما اثرفت ..
 حسنين - ما اتشرفتش ازاي ؟ دا يبقى صاحب سى عبد السميع
 أفندى الروح بالروح وعشان كده أنا ح أناسبه . فين آمال
 سى عبد السميع أفندى ؟
 حسبو - وئلل مئوار .
 حسنين - خازوق .. لازم راح لى قهوة صرة مصر .. كان
 الميعاد تتقابل هناك الساعة ستة ولكن أنا قلت مالوش لزوم
 القهوة ، واجى على هنا على طول . خير البر عاجله .
 حسبو - مذبوط .
 حسنين - سى عبد السميع يتناسب من بيت أصل ، واللى
 قبلنا قال . خدوا ولاد الاصول أحسن الزمن يطول . اتفضل
 سيجارة .
 حسبو - « وهو يضعها فى جيبه » متشكر .
 حسنين - لا شكر على واجب احنا خلاص بقينا أهل .. مش
 حضرتك كده انشاء الله تبقى أخو العروسة ؟
 حسبو - لا ابنها ..
 حسنين - « مأخوذاً » نهار اسود .. ابنها ؟
 حسبو - أم .
 حسنين - نهار مهبب ابنها ازاي يا ابني .. هي كانت
 متجوزة ؟
 حسبو - ثثة ..
 حسنين - « خائفاً » كم ؟ ..
 حسبو - ثثة . ثثة . ثثة . ثثة .
 حسنين نهار أبوك مطين .. ستة كده مرة واحدة ؟!
 حسبو - أم ..

حسنين - وراحوا فين الستة ؟

حسبو - ماتو . .

حسنين - « خائفنا » يا حفيظ يارب ، يا حفيظ يارب . .
الستة ماتو ؟

حسبو - الثلة ماتو . .

حسنين - يا حفيظ يا حفيظ . وأبوك راخر مات ؟

حسبو - الله يرحمه .

حسنين - وماتوا ازاي ؟

حسبو - بالككرة .

حسنين - « صارخا في خوف » بتقول ايه ؟

حسبو - بالككرة . .

حسنين - يا حفيظ يارب . . الكريه . . يعني أبقي انا
السابع ؟ . .

حسبو - أيوة الككرة خدتهم مرة واحدة . .

حسنين - ياساتر أستر يارب هي كانت متجوزاهم مرة
واحدة ؟ . .

حسبو - لا . أثل أبويا الله يرحمه .

حسنين - « مقاطعا » تعيش انت قول ياخويا قول . .

حسبو - كان مثميهها كوليبة . .

حسنين - ياساتر أستر يارب . . اخص عليك ياششتاوي

ياخويا يادون . عايز تموتني بالكوريرة عشان تورئني ؟ طب

شوف لك موة غير دي « ينهض » السلام عليكم .

حسبو - رايح فين ؟

حسنين - انقد بطلدي . . بس أما اشوف خلقتك ياششتاوي

يا ابن بهانة . .

حسبو - اثنتي لما تيجي احسن تموتك . .

حسنين - نهار مهيب تموتني ازاي ؟

حسبو - أثلها مجنونة . .

حسنين - « صارخا » كمان مجنونة . والعمل ؟

حسبو - وعشان كده لما تثلم عليك خدما على عقلها واتجبح

معاما يعني بثبت لها .

حسنين - « صارخا » أبصص لها ؟

حسبو - بث ائمع الكلام .
 حسنين - ابصيص لها ازاي يابني ؟
 حسبو - ازيك ثلامات ايه القطة دي ؟ . ايه الالاطية دي ؟
 ايه القمر المنور ده ؟ .
 حسنين - نهار اسود انت بتقول ايه يابني ؟ .
 (يسمع صوت منتهى من الداخل)
 حسبو - « وهو يخرج سرعيا » بث ائمع كلامي « يخرج » .
 حسنين - « وهو يرتعش » نهار اسود طب ياششتاوى يا ابن
 بهانة اخوك شقيقك تعمل فيه كده ؟
 (تدخل منتهى حاملة صينية القهوة)
 منتهى - أهلا وسهلا آنست وشرفت ونورت ياسى ح ح خ
 حسنين - « مرتعشا » ح ح خ حسنين أبو جاموس .
 منتهى - عاشت الاسامى ياسى أبو جاموس ، اتفضّل
 قهوة . .
 حسنين - « مضطربا » من يد . م م من يدما نعدمها .
 منتهى - حالا سى عبد السميع زمانه جاى . هو مارحلكتش
 قهوة صرة مصر ؟ .
 حسنين - من بختى الاسود جيت على هنا على طول .
 منتهى - دا من بختنا احنا الابيض اشرب القهوة .
 حسنين - عقبال مانشرب المفات .
 منتهى - « ضاحكة » انت مستعجل قوى ؟
 حسنين - وهو حد يشوفك ولا يستعجلش ؟
 منتهى - يسلم بقك أهو دا العريس اللى حنكه ينقط
 غسل . .
 حسنين - « ناهضا لى خوف » عن اذنك ح اطلع أروح لسى
 عبد السميع . .
 منتهى - تطلع الا تطلع دي كمان « ضاحكة » هو دخول الحمام
 زى طلوعه ؟
 حسنين - « لنفسه » نهار منيل . .
 منتهى - الا تطلع دي كمان . أهلا وسهلا .
 حسنين - أهلا وسهلا أهلا وسهلا « منازل » ايه القطة دي
 ايه الالاطية دي ؟

منتهى - « مبتهجة » تجلس بخائبه « صلاة النبي ينتقط
 شهد » والله صبرت ونلت يافوسه ..
 حسنين - تعرفى ان محسوبك ييحي الفطير المشلتت ؟
 منتهى - اعملك من عنيه .
 حسنين - لا الفطير اللي بالك اياه .
 منتهى - « مفكرة » الفطير اللي بالي اياه ؟
 حسنين - خليك حدقة امال « لنفسه ياماتر استر يارب » .
 منتهى - (ضاحكة) فهمت ياخويا بكره تشيع .
 حسنين - (لنفسه) رحنا في داهية .
 منتهى - بتفكر فى ايه ؟
 حسنين - نفسى اسأل سؤال ؟
 منتهى - قول ياخويا .
 حسنين - (مغازلا) القمر فى السما وايش قعده جنمى على
 الكنية ؟ (يهم بها) .
 منتهى - (فى دهشة) انت .
 حسنين - أنا باموت .
 منتهى - (مأخوذة) بتموت ؟
 حسنين - (يبلع ريقه) وهو حد يشوفك ومايموتش (يبلع
 ريقه ثانيا) والله العظيم باموت .
 منتهى - من ايه ياخويا ؟
 حسنين - (يمسك بها يحاول ضمها) باموت فى القمر .
 منتهى - (تنهض فى خوف) .
 حسنين - ماتخافيش قلت له اتجبحى .
 منتهى - انت ياراجل انت ..
 حسنين - هو أنا بقيت راجل .
 منتهى - يانهار ابيض دا باين عليه مجنون ؟
 حسنين - (يحاول مسكها) هو حد يشوفك ومايتجننش ؟
 منتهى - (خائفة تفلت منه) اخص عليك شايب زعايب راجل
 ناقص ماعدكش .. انت يامنيل على عينك بتبصبصل ..
 حسنين - (خائفا) !
 منتهى - (وينها على الشبشب) امش اطلع بره طلوع فى
 رقبك ورقبة اللي جايينك ، صدق اللي قال عليك ابوجاموس .

حسنين - (وهو يحاول الخروج) ماهو ذا الى أنا عايزه
 (يدخل عبد السميع)
 منتهى - انت ياسى عبد السميع أقندى جايب لى واحد
 يبصص لى ؟
 عبد السميع (صارخا) يبصص لك ؟
 منتهى - ويقول ايه القشطة دى ؟ ايه الالماطية دى ؟
 والقمر فى السما واية قعله فريحي على الكنبه ؟
 حسنين - (خائفا) أنا .. أنا ..
 عبد السميع - انت ايه ياناقص ياذون ياقليل الأدب أنا
 ح أخرب بيتك وبيت الششتاوى أخوك كاتب القيسودات
 يانا ياهوا ..
 حسنين - أنا .. أنا ..
 عبد السميع - انت (يسحب عليه الحذاء ويتهاى عليه ضربا)
 فى حين يدخل حسبو)
 حسبو - (فرحا فى ابتهاج) باطلت ..
 « مستأور »





كنت اذ ذاك اشتغل مخبرا صحفيا في جريدة يومية .
واشهد باننى كنت مخبرا سياسيا فاشلا فانا بطبعى رجل حى
خجول ، أحب العزلة وأميل الى الصمت ، ولا أحب أن أقحم
نفسى فى مالا يعينى وهذه صفات اذا توفرت لصحفى فقل عليه
وعلى الصحيفة التى يعمل فيها السلام ، وكثيرا ما فكرت فى ترك
الصحافة حتى أريح نفسى من هذا العناء الكبير الذى أرزح تحت
أعبائه ، وأريح معى رئيس التحرير من المتاعب التى أسببها
له دائما ولكن اذا تركت الصحافة فمن أين أعيش ؟ . اننى بعد
السنوات الطويلة التى اشتغلتها فى الصحافة . أصبحت لا أصلح
لأى عمل آخر . ومثل الصحفى الذى يترك عمله كمثل الطبيب
الذى تحرم عليه مهنته كلاهما لا يصلح حتى لبيع العرقسوس
فى ميدان السيدة . أو التمر هندى أمام ضريح الحسين . .
كنت أفكر فى هذا وأنا أجلس ذات يوم الى مكتبى فى دار
الجريدة . عندما دخل على رئيس التحرير بوجهه الجهم الذى
لا تعرف الابتسامة طريقها اليه أبدا ، فقد كان رحمه الله وغفر
له دائم العبوس مكفهر الوجه لا تعرف شفتاه أن تلفظ الكلمة الطيبة
أبدا . ولا يهمه غير ما يسمونه السبق الصحفى . أو الخبر الهام
الذى يخرج به جريدته . ولذلك عندما دخل على خاطبى قائلا
دون أن يحينى . .

- ايه الاخبار النهارده يا أستاذ ؟

- خير . .

- كويس : لكن خير دى ماتنفعش . .

- فقلت ضاحكا :

- نخليها شر . .

- فمد يده وقال :

- أرنى أخبارك .

فناولته ورقة صغيرة قرأ فيها هذه العناوين .

« حرم رئيس الوزراء تعود فجأة من مصيفها » - الجسديد

فى توزيع أراضى مصلحة الأملاك - التفكير فى تخلى كبير عن

منصبه - فنظر الى وقال :

- ومن هو ياسينى هذا الكبير ؟
 - يقولون أنه رئيس الديوان . .
 فوضع يديه الكبيرتين خلف ظهره وقال :
 - ومن أين عرفت هذا الخبر ؟
 فسررتى اننى ظفرت له بخير هام وقلت له على الفور .
 - لى شقيقة تشتغل مدرسة - وتعطى دووسا لاحدى بناته .
 فقال على الفور ولكن فى مسخرة آلتنى .
 - يا أستاذ درس ايه . . دى أخبار بايتة . فادهشنى
 هذا وقلت :
 - بايتة !!
 - معلوم . . بايتة وحامضة كمان . مين فى البلد مايعرفش
 ان رئيس الديوان سيستقيل ؟
 ثم عاد الى يديه فوضعهما خلف ظهره وقال :
 - يا أستاذ أنا عايز أخبار طازة ، أخبار جديدة ،
 جديدة . .
 فضايقتنى منه هذا وقلت متبرها . .
 - مافيش . .
 - يا أستاذ الصحافة مافياش حاجة اسمها مافيش ، الصحفي
 الناجح يجيب الخبر من تحت الأرض ، من أغوار المحيط من
 قلب السماء . .
 فقلت : ولكن السماء لا تمطر ذهباً ولا أرض لا تخرج فضة
 والبحر ليس فيه غير السمك .
 - يعنى ايه ؟
 - يعنى لاجديد تحت الشمس . .
 فقال هانجا وهو يلق بيده على حافة المكتب . .
 - يعنى نقول للقراء لاجديد تحت الشمس ؟ حاضر .
 قال ذلك ثم انصرف يلقى كفا بكف فجمعت الله على أن العراق
 بينى وبينه فى هذا اليوم وصل الى هذا الحد فقط ، ولكنه لم
 يلبث أن عاد ثانية وعاد مريما وهو يلهث ويتسبب عرقاويحمل
 فى يده بطاقة أنيقة . قلمها الى وهو يقول :
 - اتفضل يا أستاذ . حفلة ماهرة فى مينسا هاوس . .
 وستحضرها حرم رئيس الوزراء . وسيدات المجتمع وبعض

رجال السلك السياسى والكبراء والوزراء وسوف لاتعدم وسيلة
للمعثور على خبر هام .

ثم اقترب منى وقال :

- ثم لاحظ أن الجو السياسى مكهرب .. منيل .. الوزارة
على كف عفريت بالعربى ياتستقيل ياتقال
فادهشنى هذا وقلت :

- كيف ذلك وقد صرح أحد الوزراء فى الجريدة اليوم بأن
الوزارة لم تكن فى يوم ما أثبت قدما منها فى هذه الأيام ؟
لماهاجه هذا وقال مقتاظا :

- يا أستاذ كلام سياسة .. كلام جرايد ، الى متى ستظل
تجهل قواعد الصرف والنحو فى لغة السياسة ..
فقلت ولم تفارقنى دهشتى .

- تقصد أن هذا التصريح لا أساس له من الصحة ؟
- مضبوط ..

- ولماذا صرح به ؟

- هذا مايسمونه فى لغة السياسة المبنى للمجهول .

- لم أفهم ..

- ولا أنا ..

- ولماذا ننشر أشياء لاتفهمها ؟

فنظر الى فى حنق وقال :

- اسمع ياأستاذ ، قبل أن تشتغل بالصحافة ، ماذا كنت
تعمل ؟ ..

فقلت له : كنت أشتغل بالأدب .

- يعنى القصص والروايات ؟

- آيوه ..

- ولذلك فلن تعمر فى الصحافة طويلا .

- لماذا ؟!!

- لأنك رجل خيال ..

ثم راح يمثل فى الفضاء وهو يشير الى الهواء بيديه ويقول :

- الشمس - القمر .. الليل الذى أرخى سدوله .. الشعر

الذى تهدلت خصلاته .. الحد الأسيل .. والحصر النحيل ..

والعيون التى فى طرفها حور ، ثم نظر الى وقال محتدا

- هذا يا أستاذ كلام فارغ .. كلام خيال .. كلام مايو كلش
عيش .. الصحافة مش كده أيد .. الصحافة جد .. حقيقة ..
واقع .. جهاد .. صراع ..
ثم راج يحدث نفسه وهو يشد في شعره ويدور وسسط
الغرفة ..

- أيوه صراع .. صراع .. جهاد .. حقيقة .. واقع ..
والتفت الى وقال :
- أيوه الحبر .. الحبر يا أستاذ .. ولو أدى الأمر الى انك تحرق
اسطامبول كما حرقناها ..
وكنت الى ذلك الحين لا أعرف ان اسطامبول قد حرقته
الصحافة ؟ فقلت له :

- وهل حرقتم اسطامبول حقيقة ؟

- أجل حرقناها ..

- كيف ؟

- ان شاء الله عندما تصبح صحفيا لامعا .. عندما تملك
جريدة يومية كبرى .. عندما تصبح من رجال المال والأعمال
والسياسة .. ستعرف كيف احترقت اسطامبول ذات مرة ..
وأردت أن أقول شيئا ، ولكنه كان قد نظر في ساعته وقال
على الفور :

- اتفضل يا أستاذ الحفلة .. الحفلة .. وكما قلت لك أنها
حفلة سياسية أكثر منها حفلة ساهرة .. وسوف تظهر منها
بأخبار قيعة ..

قال ذلك ثم اقترب منى ووضع يده على كتفى وقال وكأنه
يهمس فى أذنى :

- سلط أضواء عينيك على حرم رئيس الوزراء ، تصبح أنت
جهينة القرن العشرين ..

ثملقى ببطاقة الدعوة أمامى على المكتيب وانصرف .. فتناولت
البطاقة وما ان نظرت فيها حتى جحظت عيناي وانصرفت بها
سريعا الى غرفة رئيس التحرير وألقيت بها أمامه على المكتيب.
وأنا أقول وأصعبى على سسطر ذيلت به البطاقة وكان بين
قوسين :

- اقرأ ..

فقرأ بصوت مرتفع .. الحضور بالملابس الرسمية
(الفراك) ..

ثم رفع عينيه الى وقال ، وكأنه يرميني بالغباء النادر .

- ياسينى اتصرف ..

- وكيف اتصرف ؟

- بسيطة ، جاكته من هنا .. وبنطلون من هناك . وقميص
من هنا تنتهى المسألة .. ومع ذلك اتفضل ومد يده فى جيبه
وناولنى ريالاً وكان الريال فى ذلك الوقت يكاد يكون ثروة
طائلة ، فتناولته وانصرفت ومن يومها الى وقتنا هذا لا أدرى
كيف تصرفت فى تلك الليلة ، ولكن الذى أذكره جيداً هو اننى
قبل موعد الحفل بدقائق كنت أجتاز حديقة الفندق الكبير وأنا
أنظر الى نفسى وأضحك ملء شدى من ذلك الانسان الذى قلبه
الله فى غمضة عين الى فرد كبير له ذيل وله أيضاً طوق اسود
حول عنقه بيد اننى لم أكد أدلف الى مكان الحفل ويطالعنى ذلك
البهو الكبير الذى غص بالمدعوين حتى نسيت كل شئ ، فقد
كان الحفل رائعاً حقاً كبيراً فعلاً كما قال عنه رئيس التحرير ،
جمع بين الوزراء والكبراء والعظماء جميعاً فى صعيد واحد كما
امتلا أيضاً بفانيات مصر وسيدات المجتمع . وقد تفنن جميعاً
فى تبهرجهن وتزينهن واحكام ملابسهم الانيقة على أجسامهن
الفضة البضة الناعمة ، كما تركن أظهرهن ونحوهن عارية
تحت الاشعاع الكهربائى الذى يعكس نوره عليهن فيحيل تلك
النحور والصدور العارية الى ما يشبه البلور الذى يتوهج تحت
الشمس . وقد انتشر حول الموائد كما تنتشر الورود البيضاء
فى الحمايل ، فترى لها لونا جميلاً وتشم لها رائحة حلوة ..
فجلست أنعم النظر واستنشقت ذلك العبير اللطيف الذى تفتح
له قلبى ورحمت ابتسم لجهل رئيس التحرير وهو يسخر من
الادب . والاديب الذى يحب الجمال ويصف الجمال ويتحدث
عن الحد الأسيل ، والحصر النحيل والعيون الزرق التى فى
طرفها حور .

وظللت كذلك أنقل عينى من نور الى نور ومن سماء الى سماء .
ومن وجه يهل فاذا به القمر فى طلعتته أو قوام يطل فاذا به
الزمن فى بهجته الى أن حانت منى التفاتة عارضة أخرجتني من

هذا الحلم اللذيذ ، فقد رأيت بعض رجال السياسة من المعارضين يجلسون الى مائدتين متقاربتين وجلس بينهم رئيس الديوان فتذكرت في الحال مهمتي ومقاله لى رئيس التحرير من أن هناك أزمة بسبب رئيس الديوان . ولما كنت أطمح أن أرضى رئيس التحرير فى أن أظفر بخير سار - أى خبر - ذهبت اليه وصافحته وكان يعرفنى وأعرفه فقلت له :

- كيف الحال ؟

فقال مبتهجا وهو يضحك ويشاركه فى الضحك بعض الوزراء السابقين .

- عال . .

فقلت ضاحكا أنا أيضا .

- هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟

وقبل أن أتم كلامي سمعنا لقطا وحركة غير عادية من خلفنا فالتفتنا فاذا بسيدة كبيرة من سيدات المجتمع عرفت بصلتها القوية بحرم رئيس الوزراء تقبل على الحفل تتهادى وتسبقها رائحة عطر جميل ، فقال رئيس وزراء سابق كان يجلس معنا عرف بنكاته وتندره ، قال وهو يشير الى السيدة الكبيرة .

- اسألوا أهل الذكر . .

وبعد أن ضحكنا أردت أن أقول شيئا ولكنى لمحت إحدى السيدات تسرع اليها وتتحدث معها على انفراد فتذكرت أنى صحفى ، فأسرعت نحوهما فسمعت السيدة تسأل صاحبتهما قائلة :

- لماذا لم تحضر حرم رئيس الوزراء ؟

فأقلت السيدة الكبيرة وهى تعبت بحبات عقد ثمين حلت به جيدها . .

اننى كنت فى الاسكندرية وحضرت توا الى هنا . . وكنت أظنها قد حضرت .

وفجأة دوت عاصفة من التصفيق ، عرفنا منها أن حرم رئيس الوزراء قد حضرت ، فانصرفت الى الخارج سرىعا ، وهروا معى بعض الكبراء والعظماء ، فوجدنا ان رئيس الوزراء هو الذى حضر وبصحبته بعض الوزراء ، وبعد أن وقف حينما حيا فيه جموع الهتافة ، وأرسل ببعض ابتساماته المشرقة الى السيدات

المتناثرات حول الموائد كثريات الكهرباء ذهب الى المائدة الفخمة التي أعدت له وجلس اليها مع بعض وزرائه ، كل ذلك وحرمة المصون لم تحضر ، فضايقني بهذا وتذكرت ماقاله لى رئيس التحرير « سلبت أضواء عينيك على حرم رئيس الوزراء تصبح جهينة القرن العشرين » .

ولما لم أجد بدا سلطتها على رئيس الوزراء نفسه ، فاذا به يفيض بهجة ، وتغمره سعادة غامرة تنطبع على وجهه دائما كلما كان فى الحكم ، غير أنه كان دائم النظر الى ساعته ، كما كان ينيل بين الحين والحين على أحد الوزراء ، وقد جلس بجانبه وكانت صلته به كبيرة ففهمت بأنه يستعجل مجيء حرمه .. وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة تقريبا ، وكانت أم كلثوم تنشد أغنية من أغانيها الجميلة ، وراح صوت أم كلثوم يسرى فى الأذن مسرى النسيم فى الليل ، فأطربنى ذلك كثيرا ، حتى أننى نسيت ماأنا فيه ، ونسيت أيضا المهمة التى جئت من أجلها وعشت فى دنياى أنا .. دنيا الجمال والخيال والفن الذى لا يؤمن به رئيس التحرير وظللت كذلك الى أن فتحت عيني فاذا بالجو قد تكهرب فجأة ..

فقد حضر أحد كبار الموظفين مضطربا مصفر الوجه وكان على صلة قرابة برئيس الوزراء ، فمال عليه وأسر اليه شيئا ، اندعر له رئيس الوزراء ذعرا شديدا ، ونهض غاضبا مكفهر السحنة وغادر الحفل سريعا ومن خلفه جميع الوزراء الذين أخذوا سياراتهم وانطلقوا سريعا فى الليل ، ووقفت أنا مرتبكا ففكر ..

أأخذ تاكسى وألحق بهم لا أعرف ما حدث .. ان الريال الذى أخذته من رئيس التحرير لم يبق منه سوى ثلاثة قروش ، وغير ذلك قد انصرف من هنا فتحضر حرم رئيس الوزراء .. وبذلك أحرمت من تسليط أضواء عيني عليها ، وأحرمت بذلك من لقب - جهينة القرن العشرين - وكذلك وقفت حائرا وأخيرا عدت الى مكان الحفل ، فوجدت الجو أكثر اضطرابا ، فالشكل يتسائل عما حدث .. وحانت منى التفاتة الى مائدة رئيس الديوان ومن معه من المعارضين فوجدتهم قد دفنوا رؤوسهم جميعا فى المائدة . وكأنهم يتشاورون فى أمر خطير كما رأيت رئيس الديوان يتنحى برئيس الوزراء السابق مكانا وراحا يتهامسان فى اهتمام كبير .

وهنا تذكرت أن رئيس التحرير كان على حق عندما قال لي إن
الحو السياسي مكهرب ٠٠ وأن الوزارة على كف عفريت ٠٠ وأن
الصحفي الناجح هو الذي يأتي بالخبر الصحيح من أغوار الأرض
أو أجواز السماء ٠ فارتبكت ولكنني تشجعت وذهبت الى رئيس
الدويان الذي كان يعاينني من لحظات فاذا به يشيح بوجهه عني
ويأخذ سيارته وينصرف هو الآخر فذهبت الى جماعة المعارضة
فاذا بهم جميعا يبعدونني عن مكانهم في لطف حيناً وفي غير
لطف مرات ٠ وكانهم يتشاورون في أمر خطير، فتركهم وذهبت
الى بعض السيدات اللواتي كن من دقائق يثرن فترزعج ثرثرتهن
الاذان، كما تزعجها قزقة اللب، فاذا بهن صامتات حائرات
مثلي يسألنني عما حدث ٠٠

وأخيراً لما أسقط في يدي وحررت تماماً، قلت اتصل برئيس
التحرير فهو أشد مني ذكاء، وأكثر خبرة في حل المعقد من
الأمور ٠ وقلت أشرح له كل هذه الظروف وعليه أن يوجهني ٠
أو يذهب هو الى تقصى الاخبار بطريقته الخاصة ٠ فذهبت الى
عامل التليفون للفندق وطلبت منه أن يعطيني ادارة « جريدة
الذهب الأحمر » فدون الرقم أمامه، ثم أشار لي على السكاكين
رقم ٣ وما أن فعل حتى نهض فجأة واقفا كمن لدغته عقرب
فالتفت فرعا فاذا بسيدة المجتمع الكبيرة التي عرفت بصلتها
بحرم رئيس الوزراء تقف أمامه وتحدثه بالفرنسية فلم أفهم
شيئاً مما قالت له بيد أني أدركت بشيء من الذكاء أنها تطلب
منه رقماً معيناً، لأنه أسرع يدير أصابعه في قرص أمامه ٠
فانتهزت أنا هذه الفرصة، والتفت اليها فاذا بجمالها الرائع
يطالعي فجأة، واذا بها حقيقة تفيض أنوثة وجاذبية ورقة ٠٠
ذات وجه عربي حلو القسمات، شهى البسمات، يزينه ثغر
يتقد كالجمر وصدور عال كأنه في نوره انطباعة القمر على باقة
من الزهر، فنسيت نفسي وماكنت ساقوله لها ٠ واستذكرت
الجمال ومقاله الشعراء والكتاب والفنانون فيه، وما وصفوا به
الحصر النحيل والرديف والغصن الذي يميل فتميل الدنيا ووقفت
عند ثغرها الذي يتقد كالجمر، كما تقف الفراشة بعد الوبسب
على النار لتحترق ٠٠ متمنيا هذا الاحتراق مستوعباً هذا الأمل
الحلو الذي يهتف به خاطري كما هتف به الشاعر وهو يقول :

ماضى لو جعلت كاسى مرادفها ولو سقتنى بصاف من حياها.
وكان أحاسيسها سمعت هذا الذى هتف به خاطرى، فنظرت
الى ، وما أن فعلت حتى ثبت الى رشدى وتذكرت مهمتى وقلت
لها على الفور :

— مندوب جريدة اللهب الأحمر ..
فتمتعت وكأنها تخاطب نفسها وتنتظر الى العامل الذى يروح
يدير القرص والعرق يتصبب من جبينه :

— تشرفنا ..
فاخجلنى هذا الرد الفاتر ، ولكنى قلت :
— يقولون أن سببا هاما هو الذى جعل رئيس الوزراء ينصرف
هكذا .. فنظرت ثانية وكأنها تنظر الى تمثال من القباء المجسم
وقالت :

— لا أدرى ..
فقلت :

— هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟
فلم تجب هذه المرة لأنها كانت قد انصرفت سريعا يهرول
أمامها العامل ليفتح لها باب الكابين الذى ستحدث منه ،
فشعرت بالحزى وذهبت الى الكابين رقم ٣ أجفف العرق الذى
راح يتصبب من جبينى ورفعت السماعة لا تحدث .. وما أن
فعلت حتى وقفت فاغرا فاهى أنظر الى قلب الكابين بعينين.
زائفتين وكأننى أريد أن أخترق سقفها وأنقد منه الى السماء
لاشكر الله من قلبى ، اذ جعل منى فجأة ودون أن أحتسب
جهينة القرن العشرين .

فقد رفعت سماعة التليفون فاذا بى أجد المخطوط متشابكة
ولست أدرى أحدث هذا خطأ من العامل الذى لم يضع الفيشة
قبل أن ينصرف أم لا دخل له فيه . لأن الذى حدث أننى رفعت
السماعة فسمعت فجأة صوت السيدة الكبيرة تقول جزعة
مضطربة ..

— سقطت فعلا ؟ ..

فأجابها رجل فى صوت يشبه البكاء وهو يضع السماعة .

— أجل سقطت ..

وخرجت السيدة من الكابين مكفهرة الوجه ، تسرع الخطى

كمن يهرب من خطر داهم .. فلحقت بها وأنا أكتنم فرحة كبيرة
فى قلبى .. واعترضت سنبيلها وقلت متجاهلا :

- هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟
فأشاحت بوجهها صارخة وهى تنصرف سريعا الى سيارتها :
- دعنى ..

فأنصرف أنا الى مكان الحفل ، أتية عجبا بالحبر الطازج الذى
أحمله فى صدري ، وأحس سعادة لا يستشعرها الا من يظفر بكنز
ثمين والتفت فى طريقي بأحد الصحفيين الكبار ، فأردت أن
أتندر به وأسخر منه ومن مهارته الصحفية ، التى اشتهر بها .
فقلت له :

- ايه الأخبار ؟

- فل ..

فقلت :

- هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟

فقهقه ضاحكا وهو ينصرف :

- تحضر بالسلامة ان شاء الله ..

وسألت عن رئيس الوزراء السابق ، فبلغنى أن رئيس الديوان
عاد اليه ، وأنصرفا على عجل . فعرفت من هذا أيضا من سيشكل
الوزارة الجديدة . وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة ، فأردت
أن أنصرف الى دار الجريدة ، لأسرد على رئيس التحرير تفاصيل
ماحدث ، فقد قرب موعد الطبع .. وكانت المسافة طويلة جدا .
ومن آخر الهرم الى حارة درباله فى شارع التربة البولاقية .
حيث الادارة والتحرير وليس فى جيبى غير ثلاثة قروش . هى
التي بقيت من الريال . فاتصلت برئيس التحرير . وما أن
سمع صوتى حتى سألتنى عن الحفلة ، وهل سلطت عينى على
حرم رئيس الوزراء أم لا . فكتمت ضحكة عريضة وقلت له :
- اطمئن ، وسوف يجيئك جبهة القرن العشرين حالا بالحبر
اليقين ..

ففرح وطلب منى أن أوافيه فى الحال فأفهمته بأننى سأحضر
اليه فى تاكسى لصعوبة المواصلات ، وما أن سمع ذلك حتى
صرخ فى وجهى :

- يا أستاذ ما زال فى الوقت فسحة عندك ج ، ب ، ١٥ ،
فقاطعت قائلا فى غيظ :

- ولكن كل ذلك يوصلنى الى ميدان المحطة فقط . .
فقال : وماذمت فى المحطة أصبحت فى شوارع التربة
البولاقية . .

فقلت وأنا أتميز غيظا :

- ولكن كيف أركب الترام . . وأنا أرتدى الفراك ؟

فقال ثائرا وهو يضع السماعة . .

- يا أستاذ ديمقراطية . . ديمقراطية ألا تعلم بأن ملك الانجليز

يركب الترام مع الشعب . .

فوقفت واجمعا ثم انصرفت الى دار الجريدة ، وحتى الآن
لا أدري كيف وصلت اليها . ولا أى الطرق سلكتها الى هناك
واسرعت الى غرفة رئيس التحرير ، فرأيت منهكما فى العمل
وقد تصبب العرق من وجهه وقصد من قميصه صدره الذى
تركه عاريا . ثبت السيجارة السوداء ماركة الشايب كمادته
بين شفثيه ، وراح يمتصها بين الحين والحين فتنصاعد لها رائحة
سوداء كريهة ، كما راح يميل بين حين وآخر على درج تركه
مفتوحا فى مكتبه ويصب شيئا من زجاجة صغيرة وضع بجانبها
قطعة صغيرة من الجبن الرومى وبعض حبات الزيتون الأسود .
وقد جلس أمامه الى المكتب الأستاذ حسبو الخطاط بمنظاره
السميك ذى الأسلاك النحاسية الصدقة وقد انكب على قلمه
البسط . . وراح ينمق بفنه بعض العناوين الكثيرة والمناشآت
الكبيرة المنتشرة أمامه على المكتب وقد حملت عدة عناوين ادهشتنى
عندما قرأت فيها - حرم رئيس الوزراء تشرف الحفل وتسهر
حتى الثانية صباحا - رئيس الوزراء يصفق طويلا لام كلثوم
- رئيس الديوان يعانق رئيس الوزراء ويجلس معه ساعة كاملة -
فدهشت وقلت :

- ماهذه العناوين يا أستاذ ؟

فلم يلتفت الى وانما قال للأستاذ حسبو وهو يلفظ نفسا
طويلا من سيجارته السوداء :

- عاوز مانشت على عمودين نسخ بعنوان - ديمقراطية حرم

رئيس الوزراء ، ثم التفت الى وقال :

- كنت قاهم أظن اننا سننتظر . .

وبعد أن أفرغ شيئا من الزجاجة الصغيرة فى جوفه ، نظر

مبتهجا الى العناوين التى امامه وقال لى :
- بدمتكَ .. هل عندك أكثر من هذه الاخبار أو مايزيد عليها ؟

وقبل أن أقول شيئا عاد يقول :
- هذه هى الصحافة يا أستاذ ولست أدري متى ستتعلّمون.
فنونها ..

فلم أجب وإنما مددت يدى الى تلك العناوين المخطوطة فى غيظ وهيمت أن أمزقها لولا أن الأستاذ قفز الى صدرى مرتعدا وأمسك بيدي وهو يصيح قائلا :

- طرية يا أستاذ .. طرية طرية ولكنى مزقتها دون أن التفت اليه ولا الى صياحه ، وقبل أن يقول رئيس التحرير شيئا ، أو يقلب المكتب على رأسى كنت قد سحبته من يده كما يسحب الإنسان حيوانا اليقا ، وانتحيت به مكانا فى غرفة مجاورة ، وقصصت عليه نبأ سقوط الوزارة .. وما حدث فى الحفلة حرفا بحرف ، وكيف ان العناية الالهية خصتنى بهذا الجبردون سائر البشر أجمعين .. وما أن قلت له التفاصيل وعرفته أيضا من سيسلك الوزارة الجديدة ، حتى كان قد اندفع الى من فرط دهشته واحتوى جسدى النحيل بين ذراعيه وراح يعتصرنى اعتصارا وهو يعانقنى ويقبلنى تقبيلًا ثقيلًا أوجعنى . ثم سحبني من يدي ورقص ممي وهو يقول :

- ألم أقل لك بأن الصحفي الناجح لا يستعصى عليه الخبر ، ولو كان فى أجواز السماء . وكان فى أغوار الأرض . ثم احتضننى ثانية وقبلنى قبلة أخرى أوجعتنى أيضا واستطرد يقول :

- لقد أصبحت يا أستاذ من الآن علما من أعلام الصحافة وكنا قد بلغنا غرفته فرأيت الأستاذ حسبو مازال مكبا على الأرض يجمع قصاصات عناوينه الممزقة . فأنحنى عليه رئيس التحرير فجذبه من يده وأجلسه على المقعد وهو يقول له :

- ماأنشت الصفحة الأولى يا أستاذ بسرعة .
فقال الأستاذ حسبو على الفور وهو يقرأ فى ورقة صغيرة امامه .
- وزارة الشعب ، ساهرة على رعاية الشعب .

فصرخ رئيس التحرير قائلا وهو يشد شعره .
 - مزقه . احرقه . خلاص الوزارة استقالت .
 ثم هرش رأسه وقال وهو يرسل نفسه طويلا من دخان
 سيجارته السوداء ماركة الشايب :
 اكتب ياسيدى ..
 - ابتهاج الشعب فى أنحاء البلاد بسقوط الوزارة .. أريده
 على ارتفاع ستة سنتى أو ثمانية اذا أمكن . ثم هرش فى رأسه
 ثانيا وقال :
 - مانشت على ثلاثة أعمدة بعنوان . دولة الظلم ساعة ، ودولة
 الحق الى قيام الساعة .
 وأردف قائلا :
 - مانشت آخر على ثلاثة أعمدة رقعة بعنوان : سقطت الوزارة
 اللهم حمدا ..
 ومد يده الى الزجاجية الصغيرة وأفرغ منها شيئا فى
 جوفه وقال :
 - مانشت على أربعة أعمدة فارسي بعنوان : سيده كبيرة يغشى
 عليها عندما تسمع النبأ ويسعفها طبيب كبير معروف .
 وهنا تقدمت منه وصحت قائلا :
 - ولكن هذا لم يحدث ياأستاذ فصرخ فى وجهى .
 - مش شغلك .. مش شغلك ..
 ثم التفت الى الأستاذ حسبو وقال :
 - مانشت على أربعة أعمدة ، نسخ ، عبد التواب « باشا »
 يكلف بتأليف الوزارة .
 وبعد ذلك جلس الى مكتبه وتناول قلما ، وكتب هذه العناوين
 ثم دق الجرس فأقبل الشيخ فراج ، وهو طالب فى الأزهر
 ويشغل فى الجريدة ليلا محررا ومصححا ، وعليه المورنهارا
 على أكشاك البيع ليتأكد من أن الجريدة توزع توزيعا منتظما ..
 فنأوله رئيس التحرير الورقة التى دون فيها العناوين
 وهو يقول :
 - الاصول بسرعة ..
 وخرج الشيخ فراج . فأشعل رئيس التحرير سيجارة جديدة
 والتفت الى وقال :

- اكتب كلمة تحية وتقدير وثناء عاطر على رئيس الوزارة
الجديدة من الثلاثة أعمدة في الصفحة الخامسة .
فأسقط في يدي وقلت :

- وهل أنا أعرفه حتى أكتب عليه :
فتميز غيظا وهو ينظر الى . ثم نهض الى رف بجواره وتناول
منه مجلدا كبيرا ناوله الى وهو يقول :
- اخرج العدد الصادر يوم تشكيل الوزارة المستقيلة فأخرجته
له فتصفحه ثم ناوله لي وقال .

- اقرأ ما كنا قد كتبناه عن رئيس الوزراء .
فقرأت تحت عنوان (التاريخ يسجل) من الحطال هنا ان تذكر
حسنات رئيس الوزراء ، أو نعدد ما نره ، أو نتحدث عن ماضيه
المشرف وتقانيه في خدمة بلاده . لأننا مهما تحدثنا عن عدل
عمر بن الخطاب ، فلن نقول شيئا ومهما أطنبنا في مدح علي بن
أبي طالب ، فلن نأتي بجديد ، أو قلنا عن صلاح وتدين عثمان
فلن نزيد شيئا ولكن من الحق علينا لكي نريح ضماثرنا ، ولكي
نريح التاريخ من عناء البحث والتنقيب واستقصاء الحقائق ، ان
نسجل هنا حقيقة غير منكورة وهي ان الله الذي خلق الرسل
والانبياء قد آتت رحمته الا أن يبعث الينا بهذا الرجل

وهنا صاح رئيس التحرير فرحا . .

- كفاية انقل نفس المقال .

فقلت دهشيا . .

- لا يمكن . .

- لماذا ؟ . .

- انه قليل في رجل غير الرجل . .

فقال وهو ينظر الى متعجبا . .

- ياسيدي اتصرف . . اتصرف ما تصرفش تغير الاسم وتغير

العنوان . .

فقلت وقد زادت دهشتي :

- والقراء ؟ . .

فاستلقي ضاحكا ثم قال .

- انت حسن الظن قوي يا أستاذ ، هم فاكرين اتعشمو

ايه امبارح . .

فلم أر بدا من الانصباع لأوامره ونقلت نص المقال حرفيا بعد أن غيرت الاسم والعنوان . وكانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا فانصرفنا جميعا الى المطبعة ، أنا والشيخ فراج ، والاستاذ حسبو ، ورئيس التحرير ، الذي لم أره في حياتي فرحا كهذه الليلة ، حتى ان الفرحة أخرجه عن طوره وجعلته يفتقد علينا المال الوفير . فأعطاني عشرة قروش ، والشيخ فراج خمسة واشترى للاستاذ حسبو علبة سجائر ماركة الفيل .
وأشهد بأنني لم أسعد في حياتي كما سعدت في تلك الليلة أحلم بما قاله لي رئيس التحرير بأنني سأصبح علما من اعلام الصحافة ..

وعشت حيناً في هذه الاحلام وهذا السحر الذي يأخذ بالابصار فقد سعدت نجمي فجأة بهذا الخبر الذي لم يكن لي يد فيه . والذي ستسمى الى الشهرة كما تسمى الدنيا الى رجل نائم وقد شعرت بهذه السعادة تغمرني حقيقة وتفيض على عندما اتصل رئيس التحرير ببعض الصحف الكبرى وكانت قد بدأت الطبع وعرف بأنها لم تظهر بالخبر في حينه كما ظفروا نحن به وانفردنا به دون سوانا . وسوف تعرف هذه الصحف الكبرى عندما تصدر في الصباح ، أي فشل حل بها وأية خيبة أصابتها حين تنفرد جريدة « الذهب الاحمر » دون غيرها بالخبر الذي اهتزت له أسلاك البرق والذي فرح له من فرح وبكى له من بكى . وسيعرفون مع ذلك كله من هو الشخص الذي أتى به من أغوار الأرض . وهبط به من علياء السماء . والسعادة المفرطة ثقيلة الحمل ينوء بها كاهل صاحبها ، تماما كما ينوء كاهل الشقي بما يحمل من شقاء .

لذلك ما أن دارت عجلة ماكينة الطباعة وقذفت في وجهي بالعدد الاول ، وطالعتني المانشيت الطويل العريض الذي نمتقه الاستاذ حسبو برائعته ، وقرأت : « ابتهاج الشعب في كل أنحاء البلاد بسقوط الوزارة » حتى ناء كاهلي بالفرحة الغامرة وخارت قواي ، وانتابني دوار شديد . وشعرت أنني في حاجة الى انوم . فضاقت رئيس التحرير الذي كان يتصفح العدد وسيجارته ماركة الشايب ترقص طربا بين شفتيه وذهبت الى غرفة عم رستم خبير المطبعة . وما ان استلقيت على الكرويتة الخشبية بتيابي

الرسمية - الفراك - حتى استغرقت في نوم عميق • وظللت
كذلك الى أن استيقظت في الساعة صباحا على ضجيج مزعج،
وصخب وهرج في المطبعة ، وسمعت صوت رئيس التحرير
يهدر في عنف • فانزعجت جدا • وظننت أن ماكينة الطباعة قد
صوت مزعجا • فانزعجت جدا • وظننت أن ماكينة الطباعة قد
أصابها عطب قبل انتهاء طبع العدد - وكان هذا يحدث للماكينة
كثيرا • وبذلك تكون قد حلت بنا أكبر مصيبة • فأسرعت الى
هناك مضطربا • فوجدت رئيس التحرير مجنونا يدور على عقبيه
وكانه شعلة تحترق • وما أن رأى حتى راح يصرخ صرخات
مدوية • وهو يقطع شعره ويمزق ثيابه ويلطم خديه وهو يصرخ
في وجهي بصوت كالرعد ويقول :

- خربت بيتي الله يخرّب بيتك ••

- فأسقط في يدي وقلت مأخوذاً :

- ماذا ، ألم تسقط الوزارة ؟

فمال على الشيخ فراج محزوناً وقال باللغة العربية الفصحى
كمادته :

- لا لم تسقط الوزارة يا أستاذ ••

وانما حرم رئيس الوزراء هي التي سقطت ، أو بمعنى أصح
أجهضت ••





النظر

« في مكان معين من الشاطئ » ، وعند ربوة
يلسب الماء من تحتها وقرأقا ، كما تنساب
أنسام الأصيل حولها رخاء ، اتفق شاب وشابة
على اللقاء سرا لأول مرة • وكان لا يعلم بهذا
الموعد غير واحد فقط هو « كيوبيد » الذي جمع
بين قلبيهما دون أن يحتسبا • لذلك حلا له أن
يهبط من عليائه ليعيش لحظة بين الناس ،
وليشاهد بنفسه ما يفعله سحره في الخلق •
فنزل إلى الأرض على هيئة بلبل جميل راح يتنقل
على الشاطئ • وبدأ في انتظار الحبيبين الجديدين ،
يسد أنه لم يكده يبلغ الربوة حتى رأى شيئا
أزعجه • رأى إبليس قد سبقه إليها متغلا
لنفسه هيئة غراب أجرب ، أخذ يحك جلده
بمخالبه حتى سالت الدماء من جسده وراحت
تلتفح بقطراتها السوداء ذلك المكان الجميل
الطاهر • • »

كيوبيد - « غاضبا » .. ما الذى جاء بك الى هنا ايها الشر
الكبير ؟ ..

ابليس - « مبتسما » .. وما الذى جاء بك أنت ايها البلبل
الجميل ؟ ..

كيوبيد - « أنا جئت لآغرس بيسدى بذرة الحب فى قلبين
ظاهرين ..

ابليس - وجئت أنا لآحصد مازرعت أنت ..

كيوبيد - ومن الذى أنبأك أن هنا سيلتقى حبيبان ؟ ..

ابليس - هذا المكان الجميل الذى أعدته أنت لعشاقك ..

كيوبيد - ولكنك لن تستطيع ..

ابليس - « ضاحكا » .. وما الذى يمنع ؟ ..

كيوبيد - ان بذرة الخير لا تثمر الشر أبدا ..

ابليس - « مبتسما » .. ومن أدراك أنها خير ؟ ..

كيوبيد - لآتنى أنا الذى أصنع الخير للناس .. ويسدى
عرست هذه البذرة ..

ابليس - « ساخرا » .. أنت ؟

كيوبيد - أجل ..

ابليس - « ضاحكا » .. أنت من ؟

كيوبيد - أنا الحب ..

ابليس - الحب ؟

كيوبيد - أجل .. أنا الحب ..

ابليس - « وقد نظر اليه ساخرا » .. من الحب ايها البلبل
الجميل ؟ ! ..

كيوبيد - قلت لك أنا ..

ابليس - ومن أنت ؟ ..

كيوبيد - ذلك النور الذى يشع صفاء على الناس ، تلك
الكلمة البيضاء التى تنسدل هباء على البشر ، أنا ذلك السرور
الذى يلف الإنسانية فى كساء من الطهر ، أنا ذلك الجمال المحي
فى كل شئ .. حتى ، أنا ذلك الرداء الذى تهبه الطبيعة للبشر فتراه
فى كل شئ .. فى هذا الحدول الذى ينساب كاللحن فى أذان

الدنيا .. في هذا النسيم الذى يتماوج رخاء كأعطاف الحسان ..
 فى هذا البشر الذى يتألق كأنه بهجة الغيد .. فى هذا النور
 الذى يتدفق صفاء فينير الكون ، فى هذا الفجر الندى الأنفاس
 الذى يعيد الحياة من جديد ، فى هذه الزهرة البكر التى تتفتح
 أكمامها ، فتعطر بأريجها الكون .. لم يخلق القمر الا من أجل
 ليصب لجينته على العشاق فى هداة الليل ، ولم يخلق النسيم
 العليل الا لينقل للمحبين أحاديث الهوى ، ولم تنسدل ستائر
 الليل الا لتحفظ العشاق من العين ، ولم تتفتح أكمام الورد
 الا لتسكر العذارى والعشاق المعاميد ، ولم تهب أنفاس الليل
 الا لتوقظ من أسكرته خمر الغرام ، أنا .. أنا الحياة بما رحبت ..
 أنا السعادة بما شملت ، أنا .. أنا كل غادة عذراء .. أنا كل
 شاب يافع ، أنا .. أنا الحب .. أنا .. أنا الروح .. أيها
 الشر الكبير ..

ابليس - « ضاحكا » .. الروح ؟

كيوبيد - أجل .. الروح ..

ابليس - وأنا من أكون اذن ؟

كيوبيد - ألا تعرف من أنت ؟

ابليس - اننى أسألك ..

كيوبيد - أنت النقطة السوداء فى كل شيء أبيض ، انك
 بدمائك هذه الدنسة التى تسيل منك دائما ، تستطيع أن تلوث
 كل شيء ..

ابليس - كل شيء ؟

كيوبيد - الا الروح ..

ابليس - لماذا ؟ ..

كيوبيد - لأنها الطهر .. وكل ما هو طاهر يحرقك .

ابليس - « فى سخرية » والجسد ؟

كيوبيد - انه طريقك الوحيد ، لأنك تستطيع أن تسكنه ،
 واذا هاسكنته أحلته الى جيفة تأكلها الديدان ..

ابليس - أتسمى النبع جيفة ؟

كيوبيد - انك لو بصقت فى هذا النهر ، أحلت أسماكها الى
 ثعابين يأكل بعضها بعضا .

ابليس - « ضاحكا » .. الى هذا الحد ؟

كيوييد - الى هذا الحد ؟
 ابليس - اذن أنت تسلم بأننى أسكن الجسد ؟
 كيوييد - انه يؤرتك الوحيدة .
 ابليس - « ضاحكا » . « وأين اذن يكون مكانك أنت ؟ »
 كيوييد - الروح .
 ابليس - وكيف يلوث الجسد ، دون أن تلوث الروح ؟
 كيوييد - ان الجسد الذى يلوث لا روح له .
 ابليس - معنى ذلك أننى لا أستطيع أن أسكن الجسد الذى
 تعيش أنت فى روحه ؟
 كيوييد - من غير شك .
 ابليس - « مبتسما » . « أوافق أنت ؟ »
 كيوييد - كل الثقة .
 ابليس - « ناظرا اليه » . « ألا تعلم أيها المجنون أن الجسد
 هو كل شيء ، وأنت أنت أول ما تلقى بسهامك إنما تلقى بهائن
 طريق الجسد . »
 كيوييد - هذه احدى ترهاتك .
 ابليس - فى استطاعتى أن أثبت لك .
 كيوييد - كيف ؟
 ابليس - أليس القوام الأهيف المشقوق هو الجسد ؟
 كيوييد - أجل .
 ابليس - « مبتسما » . « أليست الأعطاف المترنحة ، التى تتمايل
 سكرى ذات اليمين ، وذات الشمال . » من الجسد ؟
 كيوييد - أجل .
 ابليس - « مبتسما » . « أليست الشفاه الغلاظ ذات الجنوة
 اللثمية ، التى تتقد جمرتها دائما وتتلظى ، من الجسد ؟ »
 كيوييد - أجل .
 ابليس - « مسرورا » . « أليس الصدر المرمرى الناهد ،
 الذى يترقرق غديره صفاء ، من الجسد ؟ »
 كيوييد - أجل .
 ابليس - أليست الساق الجميلة ، التى توقع خطواتها على
 الأرض ، كما يوقع الأرغن أنشودة الحياة . » من الجسد ؟
 كيوييد - أجل .

ابليس - وبعد .. أليس هذا كله هو الثقاب الذى يشعل
الجنوة ؟ ..

كيوبيد - ماذا تريد أن تقول ؟ ..
ابليس - أريد أن أقول أنه لا حب ولا روح الا اذا اشتعلت
الجنوة ، ولن تشتعل الجنوة الا عن طريق الجسد .
كيوبيد - ان الجسد الذى تشتعل جنوته لا يلبث أن يصبح
رمادا ..

ابليس - والجسد الذى لا جنوة له .. لاهياة فيه ، معذرة .
أقصد لاروح فيه ..
كيوبيد - أنك تهذى ..

ابليس - صدقنى اذا قلت لك أنها الحقيقة . وصدقنى أيضا
اذا قلت لك اننى أشفق عليك من هذا الوهم الذى تعيش فيه ..
ان الكأس الفارغة كل ما فيها من مميزات أنها كانت فى يوم
ما تحمل خمرا ..

وكذلك أنت كل ما فيك أنك كنت فى يوم ما تحمل سهما .
ومتى كان ذلك ؟ .. قبل أن يهبط آدم من الجنة . أما بعد أن
هبط منها ، أما بعد أن أكل من الشجرة ، أما بعد أن ألهمته
الجنوة ، أما بعد أن أغرته حواء .. فقد تكسرت سهامك ..
ومع ذلك فأنت تحملها وتسير بها .. تماما كما يسير الجندى
المنهزم حاملا بندقيته التى لا ذخيرة فيها .. اننى أشفق عليك
أيها الصغير ..

كيوبيد - « فى دهشة » .. حقا أنك لوقح جسور أيها الشر
الكبير .. أنت تشفق على ! ..
ابليس - أجل .. أشفق عليك ..

كيوبيد - وهم ؟
ابليس - من هذا العناء الذى أنت فيه . ثق أنك لن تنفذ
شيئا الا بارادتى .. برغبتى .. برغبة الجسد الذى اعترفت
لى به . وثق أنه مادامت الدنيا قائمة فالويل لك منى .
كيوبيد - الويل لى منك أنت ؟ ..

ابليس - أجل .. منى أنا . ولذلك وددت مخلصا وتصحبنى
دائما .. اذن لأرحتك من عناء كبير ..
كيوبيد - « دهشا جدا » أنا أصحبك ! ..

ابليس - اجل .. أجسل .. ونق اننى أريحك . أريحك كثيرا .. ونى ايضا أنك بذلك تسبى حسنة كبيرة لهذه الانسانية ..

يوييد - « ذاهلا » .. أى جسدة أيها المجنون ؟
ابليس - اننا بذلك نريح الانسانية من عذاب اليم ، نريحها من ذب الصراع الدائم بينى وبينك . او كما تقول أنت بين الجسد والروح . او بتعبير أصرح بين الخير الذى هو أنت كما تدعى ، وبين الشر الذى هو أنا كما تقول .
« يصمت لحظة .. »

وانا اعتقد ايها الشيء الجميل أن هذا اللقاء قد دبره لنا الهى الخالد لحكمه يعلمها هو ، وتعود على الدنيا بالغنم الكثير . فانا وأنت لما تقول فى صراع دائم مادامت الدنيا . فلماذا لاتثوب الى رشدك ايها البلبل الجميل وتنضوى تحت لوائى . وبذلك نريح وبستريح ، ونفرق الدنيا فى البسحر الذى يجب أن تعرف فيه ..

كيوييد - أى بحر تعنى ايها الماكر اللثيم ؟
ابليس - سمه أنت كما شئت .. سمه اللذة .. سمه الجذر .. سمه الشهوة .. سمه المادة .. سمه الحقيقة .. سمه الدنيا .. سمه الوجود .

كيوييد - وماذا لا أسميه الفناء ؟

ابليس - لكن الفناء ..

كيوييد - « مستغربا ينظر اليه » .. ماكنت أظنك أبدا على هذا الشر العظيم ..

ابليس - أى شر تعنى ؟

كيوييد - هذا الذى تدعو اليه ..

ابليس - اننى أدعو تماما الى ماتدعو أنت اليه . وكل ما بيننا من خاف أنك أنت الوهم ، أما انا فالحقيقة . وما أتمس الذين يعيشون على الاوهام ..

كيوييد - ولم لاتهندى أنت ايها الضال المضل ؟ لماذا لاتثوب أنت الى رشدك وتؤمن بالروح وتنضوى تحت لوائى أهديك وأطهرك وأتقذك من عذاب اليم ؟ ثم بعد ذلك استعين بقدرتك هذه الحارقة على توجيه الانسانية الى ما فيه الخير للناس ؟

ابليس - ولكنى أنا القوى ، ولا تنس أن الغلبة لى دائما .
 كيوييد - دائما ؟ ..
 ابليس - قل فى أكثر الأحيان ..
 كيوييد - ان الغلبة لى أنا أيها المجنون .. انها دائما للخير
 الذى اليه المصير ..
 ابليس - لو كان الحق فيما تقول ، لما بعث بى الى الأرض ،
 ولما مكن لى فيها ..
 كيوييد - انك دائما فى ضلال مبين .. ان الغلبة لى أنا ..
 والبقاء لى أنا .. والخلود لى أنا .. ألم تسمع قول الله ..
 ابليس - « فزعا جدا » .. اننا هنا نتكلم فى الأرض ، فأى
 شأن لنا بما أنزلت السماء ..
 كيوييد - دائما يفزعك الحق ..
 ابليس - كما تفزعك أنت الحقائق ..
 كيوييد - أى الحقائق تفزعنى ؟
 ابليس - اننى مثلا ، أشد منك قوة ..
 كيوييد - أنت كاذب ..
 ابليس - أتريد أن تعرف ؟
 كيوييد - أعرف ماذا ؟
 ابليس - أينما أشد قوة من صاحبه ؟
 كيوييد - لست بصاحبك ..
 ابليس - « ضاحكا » .. أينما أشد قوة من الآخر ؟
 كيوييد - أجل .. أريد أن أعرف ..
 ابليس - أتراهننى ؟
 كيوييد - على ماذا ؟
 ابليس - أينما تكون الغلبة له ينصوى الآخر تحت لوائه ..
 كيوييد - « فى وثوق » .. قبلت الرهان ..
 « ينظر ابليس فىرى الشاب والفتاة مقبلين على الربوة يتهاديان .
 فى خطى وثيدة » ويتحدثان حديث الهوى فى حياء وصفاء
 وطهر .. »
 ابليس - « وهو يشير اليهما » .. أترى هذا الذكر وهذه
 الأنثى ؟ ..
 كيوييد - بل وأعرفهما ومن أجلهما جئت لأبارك حبهما :

ظاهر الخالد ..

ابليس - « مبتسما » .. أى حب ؟
كيوييد - هذا الذى ينبعث نوره ظلما فى عينيك .
ابليس - اذا تراءنا عليهما . ترى لمن تكون الغلبة ؟
كيوييد - لى أنا . .
ابليس - تعنى للروح ؟
كيوييد - أجل للروح . .
ابليس - وأقول أنا أنها للجسد .
كيوييد - أى جسد تعنى ؟
ابليس - الذى هو دائما هدف كل محب . .
كيوييد - قلت انك تهذى . .
ابليس - اننى أجد . .
كيوييد - اذا كان الجسد فيما تقول أيها الشقى حطمت سهامي
القيت بها فى هذا النهر . .
ابليس - وقضيت حياتك خادما لى ؟
كيوييد - وقضيت حياتى خادما لك .
ابليس - اتفقنا . .
كيوييد - واذا كانت الغلبة لى ؟
ابليس - كنت أنا الخادم المخلص الامين .
كيوييد - قبلت هذا الرهان . .
« يقبل الشاب والفتاة على الربوة ويجلسان اليها فى بشر
وفرحة كبيرة » . .
ابليس - أيهما تختار . . الذكر أم الانثى ؟
كيوييد - لم أفهم . .
ابليس - اذا اخترت أنت الذكر اخترت أنا الانثى .
كيوييد - لك ماتريد . .
ابليس - هذا فضل كبير منك . . لى الانثى .
« وقبل أن يترد الى البلبل طرفه كان الغراب قد تحول الى
ذرة سوداء تطايرت مع الريح واستقرت على جسد الفتاة . وما أن
رأى البلبل ذلك حتى تحول هو الآخر الى نفحة من العطر
الشفى ، ومن ثم تسللت مع الهواء الى قلب الفتى واستقرت
فيه . . »

الشباب - « وهو يمسك بيد الفتاة في حنان ويجلسها بجانبه .
الى الربوة » .. انتى سأحفظ لك هذا الوفاء ..
الفتاة - « وهى تنظر الى كتفيه العريضتين » .. أى وفاء
تعنى ؟ ..

الشباب - « طربوا » .. هذا الذى تحملينه فى قلبك ، هذا
الذى جعلت تبرين بالوعد .. وتفين بالعهد ..
الفتاة - « وهى تدلى بساقها فى الماء » .. صدقنى اذا قلت .
لك انتى لم أجيء من أجلك .

الشباب - « مضطربا » .. من أجل من اذن ؟
الفتاة - من أجلى أنا ..

الشباب - من أجلك أنت ؟ ..

الفتاة - أغالط نفسى اذا قلت غير ذلك ..

الشباب - « مضطربا » .. لم أفهم .

الفتاة - « وهى تنظر الى ساقها فى الماء » .. يجب أن تفهم .

الشباب - أفهم ماذا ؟ ..

الفتاة - « فى أنوثه » .. أنتى أحبك ..

الشباب - « مبتهجا » .. أتحبيننى حقا ؟ ..

الفتاة - « وهى تعبت بطرف ثوبه » .. أفى حاجة أنت الى .

دليل ؟ ..

الشباب - ليطمئن قلبي ..

الفتاة - هذا الوعد الذى بررت به .

الشباب - وكيف اذن تقولين أنه من أجلك أنت وليس من أجل .

أنا ؟ ..

الفتاة - « فى اغراء تحسر الثوب عن ساقها التى فى الماء .

فتبدو فخذها عارية » .. أجل .. من أجل ، ألم تفهم ؟

الشباب - لم أفهم ..

الفتاة - « تزنو اليه مسنبلة الهدب » .. أتريد أن أتهمك

بالغناء ؟ ..

الشباب - أريد أن أعرف ..

الفتاة - تعرف ماذا ؟ ..

الشباب - كيف جئت من أجل نفسك ؟ ..

الفتاة - « مضطربة الانفاس تتحسس شعره بأناملها » ..

لآننى أحببـك ياغبى .. لآننى أريدك .. لآننى أهواك ..
 لآننى .. « تطرق متكسة الـهـب » ..
 الشاب - « طروبا جدا » .. أنا الذى أحبك .. أنا الذى
 أهواك .. أنا الذى أغبـدك « يصمت ليسترد أنفاسه » ..
 الفتاة - « فى صوت ملتهب لا يكاد يبين » .. ولماذا لا تقول
 أنك تريدنى ؟ ..
 الشاب - أريد الحياة من أجلك ..
 الفتاة - « تعبت بأناملها فى شعره » .. من أجل أنا ؟
 الشاب - « متدفقا » .. أجل .. أجل ..
 الفتاة - لماذا ؟ ..
 الشاب - لآننى أحبك ..
 الفتاة - « وقد مدت ساقها الثانية الى الماء » .. أحقا أنت
 تحبنى ؟ ..
 الشاب - كما أحب الله الذى خلقك .. كما أحب قلبى الذى
 عبدك .. كما أحب دنيائى التى تعيش فيها ..
 الفتاة - « وهى تلقى بذراعيها على كتفيه » ما الذى تحبه فى ؟
 الشاب - أحب فىك هذه العيون التى تشع النور فى قلبى
 أحب هذا الصوت الذى يسكرنى .. أحب هذا الطهر الذى يتألق
 نورا فى جسدك .. أحب فىك هذا الجمال الذى جعله الله آيته
 الكبرى ..
 الفتاة - « لاهثة تدنى وجهها من وجهه » .. دع هذا الخيال ..
 أسمعنى الحقيقة ..
 الشاب - « وهو يفضى حياه من فخذها العارية » .. أى
 حقيقة ؟ ..
 الفتاة - حقيقة الحب ..
 الشاب - أنها فى هذا الذى حدثتك عنه ..
 الفتاة - « فى اغراء مثير » .. وفى ماذا أيضا ؟
 الشاب - فى هذا الجمال الذى يحيط بنا ..
 الفتاة - وفى ماذا ؟
 الشاب - فى هذه الطبيعة التى ترعانا ..
 الفتاة - وفى ماذا ؟
 الشاب - فى هذه الصفصافة التى أرخت شعورها علينا

لتظللنا ..

الفتاة - وفي ماذا ؟

الشباب - في هذا البحر الذي تصدح موسيقاه عند أقدامنا .

الفتاة - وفي ماذا ؟

الشباب - في هذا الطهر الذي يلغنا بكسائه الوردى ..

الفتاة - « وهي تعبت في شعره وتلقى برأسها على كتفه » ..

قلت لك دع حديث الخيال ..

الشباب - أي خيال ؟

الفتاة - هذا الذي تتحدث عنه . هذا الذي يتخذنه كل عاشق

ستارا يخفي خلفه الحقيقة ..

الشباب - أي حقيقة تعنين ؟

الفتاة - حقيقة الحب ..

الشباب - وهل هي في غير ذلك ؟ ..

الفتاة - أجل ..

الشباب - في ماذا إذن ؟

الفتاة - « لاهثة الأنفاس » .. في أن يحب كلانا نفسه ..

الشباب - تعنين أن يحب كلانا الآخر ؟

الفتاة - لاتضايقني بهذا الغباء .. قلت أن يحب كلانا

نفسه ..

الشباب - لم أفهم ؟ ..

الفتاة - يعيش الرجل دائما ولا يفهم ..

« تقترب منه وتدنى صدرها من صدره » .. اصغ الى ياطفلي

العزير . كل من في الوجود يحب نفسه ويريد أن يحقق لها

ما تريد . هذه تحب المال . وهذه تحب الحياة . وهذه تحب

القوة . وتلك تحب الرجل أو تحب المرأة . وهذا مايسمونه

الحب . وهو لا يخرج في نطاق واقعيته عن شيء واحد .

الشباب - « مضطربا » .. ماهو ؟

الفتاة - « في أنوثة مثيرة » .. أتريد أن تعرف ؟ ..

الشباب - أجل ..

الفتاة - وكيف لم تعرف ؟ ..

الشباب - « وقد زاد اضطرابه » .. أعرف ماذا ؟ ..

الفتاة - « مرتمية في أحضانه » .. الحب ياغبي ..

الشاب - « خائفا » .. أهو فى غير ماحداثتك ؟ ..
 الفتاة - « ناظرة اليه » .. ألم تلق بعد طعم جناه ؟ ..
 الشاب - « وقد تصيب عرقا » .. لم أذق غير هذا العطر
 الذى يتضوع الآن من عينيك ..
 الفتاة - « هائلة » .. بل قل النار التى تحرقنى .
 الشاب - « ذاهلا » النار التى تحرقك ؟ ..
 الفتاة - « تلوذ بأحضانه » .. أجل النار التى تحرقنى ..
 الشاب - « مم ؟ » ..
 الفتاة - « مطوقة عنقه بذراعيها » .. من هذا السحر الذى
 يضمخ شفيتك ، من هذا الساعد الذى يعرف كيف يهصر العود .
 من هذا الصدر الذى يعرف كيف يحمى كل من يلوذ به .. من
 هذا الثقب الذى يشعل الجذوة ..
 الشاب - « مضطربا ينظر الى صدرها الذى يعلو ويهبط » ..
 ولكن السماء ترقبنا ..
 الفتاة - ولكن الدنيا تدعونا ..
 الشاب - « يتصيب عرقا » ولكن الله من فوق الحياة ينهانا .
 « تنتفض فجأة الفتاة ، ويقف الشاب مدعورا ، فتسرع الفتاة
 باللاحاق به . وتتعلق بأذياله . فتزل قدمها فجأة وتسقط فى
 الماء . فيرتاع الشاب ويهم بأن يلقي بنفسه خلفها لينقذها ..
 بيد أن صوتا رقيقا ينبعث من خلفه » ..
 الصوت - دعه ..
 الشاب - « مرتاعا ينظر إليها فى الماء » .. انها ستموت .
 الصوت - انها ستطهر ..
 الشاب - « وهو يتلفت حوله فلم ير أحدا » .. من الذى
 يحدثنى ؟ ..
 الصوت - أنا ..
 الشاب - أنت من ؟ ..
 الصوت - أنا الحب ..

راڻو باڻيل



كان الضباب لا يزال مكتنفا القرية ، حاجبا عيونها بأسجافه الدائكة ، حينما تسلك منها حاملا على ظهره سقطة الماء بحزم القفل وربط الجرجير ليغسلها فى النهر وينوب ما علق بها من طين فى الماء حتى اذا ما قدمها الى زبائنه فى المدينة قدمها نظيفة غير ملوثة ..

وكان يسير على عادته فرحا مبتهجا بطلعة الشمس التى اعتاد أن يحتفل بطبيعتها وهو ينظف بضاعته فى النهر بل صباح .. غير أنه قبل أن يبلغ الشاطئ وقف هنيهة وحول نظره ناحية الشمال فترانى له حبل العصب المناخم للشاطئ .. واستطاع أن يتبين نص الصغير المقام على رأسه والذى لاح له وسط الضباب النصف كقطة ضالة فى تيه غير محدود ..

ولكن .. قد غار اليه وحلق فيه حتى حيل اليه أنه يراه .. يراه واضحا جليا وإن نظراته قد لفت جوانبه ثم امتدت الى داخله عبر تلك الدائمة فى احضان أمها العجوز تحلم به كما قضى هو ليلة معها فى حلم جميل يناغيها وتناغيه .. وتنظر اليه فيمشى يدهر اليها فتزد العرف خجله متوردة ..

ووقف .. حينئذ لما استمتع برؤيتها واطمان عليها جمع حيوط نراته وشدها فى رفق من على جسدها المستلقى ثم مر على اتراس العصب الذى بنى منها الحص وعاد سيرة نحو الشاطئ مبسما مسرورا مرددا فى همس اغانيه الريفية الجميلة التى اشتهر بها فى القرية وكانت سببا فى رواج بضاعته فى المدينة ..

وما أن بلغ الموردة حتى كان قد شمر عن ساعديه وجمع أطراف ثوبه البالى الممزق وحزمها فى خصره ثم اندفع الى الماء دافعا أمامه سقطة الثقيل الذى راح يعمل فيه بيديه وهو أقوى ما يكون أحلاما .. وأحلى ما يكون سعادة خالصة لا ينقصها الا وجود الحبيب الذى راح يتساءل عنه مغنيا مرددا ..

صبح الصبح يا جميل وانا على الموردة بدرى

كل البسودرة بتورد وخلى لم ورد بدرى

غير أنه لم يكدا يبدأ اعادة الاغنية حتى سمع صوتا رقيقا

خفيا ينبعث فجأة من خلفه اهتز له كيانه وارتعش منه السقف
الذى بين يديه ..

- صباح الخير يا نوفل ! ..

- صباح الخير يا خضرة !! ..

ومد يده مسرعا وتناول الجرة من على رأسها وهو يقول
مفتبطا :

- ما كنت أظنك تستيقظين هكذا مبكرة ! ..

فقالته وهى تتناول طرف ثوبها الأزرق الفضفاض وتدسه
فى تكتها .. فبدى سروالها الأحمر الفاقع الذى تدلت أطرافه
ذات الكرايش المنتفخة المعشوشة على ساقين راحت تداعب
أضواؤهما بياض الخلخال الفضى اللامع الذى نام مستسلما بين
الساق والقدم :

- أيقظنى غناؤك فجئت مسرعة لأراك وأعاونك كما اتفقنا .
ثم اندفعت معه الى الماء وأخذت يعلنان معا فى تنظيف
الفجل .. وهما يضحكان ويلعبان حيناً .. ثم يتذكران أحيانا
أيامهما السوالف وفضل هذه الموردة التى جمعت بينهما ...
فقد كانت تأتى إليها كل صباح لتملأ الجرة .. وكان يأتى
ميكرا ليغسل الفجل .. وكانت تطرب لغناؤه كما كان يطرب
لطلعتها ..

وظلا كذلك أياما كان الحب يرقبهما فيها عن كثب . ويتبعهما
فى كل مرحلة .. حتى اطمأن الى نقاء سريره وطهارة نفسها
.. ورأهما جديريين بهيته الغالية .. فتقدم منها خلصة وغرس
فى قلبها زهرته الطاهرة التى أخذت هى على عاتقها تغذيتها كما
أخذ هو على عاتقه سقيها .. ولما نمت مع الأيام واللقاء عند
النهر الزهرة التى غرسها الحب ورعاها الود وتعدتها الشمس
بالابتسام كل صباح عند الموردة .. لما نمت وطاب قطافها اتفقا
على الزواج ..

بيد أنهما انتظرا حتى يذلل العقبة الكأداء التى اعترضت
سبيلهما .. وهى الحصول على الجنيتين الباقيين على قيمة الصداق
الذى اتفقا عليه .. والذى بسببه كاد الدم يتفجر من قديمه
من كثرة تجواله النهار وأغلب الليل فى الأزقة والطرقات
ينادى على بضاعته كما كادت عيدان الحطب تأتى على أطرافها

وهي تجنى منها القطن للناس بأجر قليل تعطى أمها أغلبها
وتختلس أقله وهو الذى يمكنها اختلاسه لتساهم بنصيبها فى
جمع هذا الصداق الذى اتفقا على أن يكون كبيرا ضخما لا يقل
عن خمسة جنيهات . . حتى ترضى به الأم العجوز المتكالبة على
الدنيا . . والذى رغم اشرافها على الثمانين أبت أن تظفل
حارسة مزرعة القصب التى استأجرها حديثا المعلم حميدو
الجزائر ذلك الثرى السمج الذى هاجر من الاسكندرية الى القرية
مع من هاجر اليها وأقام فيها . . والذى بهره جمال خضرة وفتنته
اشراق وجهها الصبوح وعودها الفارع فراح يتودد اليها محالولا
اغرائها بشتى العروض وشراء قلبها ببعض المال الذى يملكه
لولا أنها عرضت عنه واحتقرته مفهمة اياه بلفة الصمت البليغ
أن قلب المرأة غير قلب البقرة التى يشتريها بالمال ويعرض
لحماها على الناس فى الاسواق .

جالت برأسها هذه الحواطر . وهما فى الماء ينظفان الفجل
ويحدفان فى بعضهما وهو يتسهم لها فتنتشى وتثنى عينيهاعنه
فى دلال ساذج جميل . ثم تعود فتردهما اليه ضاحكة فتتقصد
جدوة الحب فى قلبه وتلمع عيناه وتلتهب عواطفه التى لايعرف
التعبير عنها الا بالغناء . وهم أن يرسل حنجرته فى الفضاء العريض
ليعبر عن سعادته الخاصة .

بيد أن شيئا عارضا مسه فجأة وسرى فى جسده فخذره وأرعش
مرائضه وجعله يهنى بكلمات لا يسمع منها شيئا . ذلك ان قدمها
التقى بقدمه فى الماء فضغط عليه فى حنو ومن غير أن يقصد
والا لما فعل تلك الفعلة التى رنجته هو الآخر . ولما أحسست
بتخدر قدمها ردتة اليها فى رفق وهى خجلة تنظر اليه . وهو
مأخوذ ينظر اليها . ثم انقضت لحظة صمت هائلة سكن فيها حتى
الموج الثرثار ثم قطعا أثرها أول قبلة فى تاريخ حبهما الحالد :
وكان تأثير القبلة قويا على نفسيهما اللتين غابتا خلف ظلال
النشوة التى اكتنفت الجسد الظامى . . كانت قبلة قلبه الذى قفز
كالعصفور الى ثفره واقتطفها خلسة فانتشت منها عواطفها واذابت
فى رضاها ثم انسكبت من ثفرها بين شفثيه وانسابت الى الياف
قلبه تذكى الجيرة المتقدة فيه . كما انساب رنينها الى النهر
فهدهد صفحته ورنج أمواجه حتى غلت تسبع سكرى تحت

أقدامها توقع لهما في همس أعذب الحان الصفاء •
وتضاعفت نشوته مرة أخرى فلمعت عيناه وتصلب ساعده
المفتول على خصرها المروض الواهن وهممت شفتاه وهم أن
يقطف السانية وهو مغمض العينين حتى لا يرده جفنها المريض
المستلقى • أو يثنيه خدها الاثيل الملتهب - ولكنها وفي نشوة
ذاعلة خلصت شفتيها من لغرة وتمتمت وهي ترنوا اليه وتئننى عنه :
... نوفل !!

ثم انصرفت تحمل جرتها وانصرف يحمل سفظه •
وانقضى اليوم صافيا حلوا كما طلع صبحه عليها مشرقا بساما •
ولما أقبل المساء عادت خضرة من الحفل التى كانت تعمل فيه
فرحة مستبشرة كعادتها • من يوم أن رأت نوفل وأحبته •
ولكنها لم تجد أمها فى الحصى ولا هى فى الحقل ولاهى أيضا على
جسر القناة تسقى شاتها • ولما سألت عنها عرفت أنها فى القرية
وأنها تنتظرها هناك عند خالها الشيخ سيد فقيه الجامع •
واستغربت خضرة لهذه الزيارة التى جعلت أمها تذهب الى دار
شقيقها الشيخ سيد رغم الجفوة التى بينهما والتى قطعت أسباب
الصلة بين الشقيق وشقيقته من زمن بعيد • ولكنها مع ذلك
راحت تنقل الخطى نقلا الى القرية حتى أشرفت عليها وطالعتها
دار خالها التى رأتها مزدانة تغص ساعتها بجمع من علية القوم
فى القرية يتوسطه العمدة والمعلم حميدو الجزار •
وما أن رأت ذلك حتى ارتدت مأخوذة مشدودة وقد ساورتها
فكرة خبيثة كاد قلبها ينهلج من مجرد التفكير فى صحتها • ولم
تلبث كذلك الا لحظات سمعت أثرها الزغاريد تتصاعد مدوية من
بيت خالها ، ثم رأت الناس تنصرف وهى تشد على يد المعلم
حميدو مهنئة مباركة فارتاعت وهمت أن ترتد لتنفى عن خاطرها
تلك الحقيقة المرة التى شاهدتها عينها •
ولكن ابنة خالها وردة كانت قد أسرع اليها واحتضنتها ثم
قبلتها قائلة :

— مبروك عريسك يا خضرة •
وحفظت عينها وحملت فى محدثتها وتمتمت :
عريسى !! أنا •• من •• ؟
— المعلم حميدو ••

وضحك وتوردة واستطردت :

- على سن ورمح !

وهوى رأسها المحموم على صدرها الخافق المضطرب ومن ثم عادت سيرها نحو الحص تحديق في قدميها وأنها تحسب انتمالها أو تعد قطرات الدموع المتساقطة عليها فطرة قطرة • ولما بلغت انزوت في ركنه المظلم محاولة تجفيف عبراتها المنسابة حتى لاتلحظ أمها عليها شيئا •

ولكنها لو استطاعت ذلك وتمكنت من تجفيف دموعها أو تحويلها الى قلبها المنتحب فما هي بقادرة على استرداد عواطفها التي تبلدت ! وإعادة احساسها الذي تجمد أو اصلاح تفكيرها الذي دهمه الخطب فحطمه تحطيمًا •

ولدت قضت الليل لم تر شيئا وان كانت قد رأت اشياء • ولم نسمع شيئا وان كانت قد سمعت احاديث غير ان الذي تبينته من ذلك كله وعرفته هو ان العقد والدخلة بعد ثلاثة ايام • وان أمها فرحة بذلك حتى ليكاد الفرح يتفجر ضحكا من عينيها •

ولما أقبل الصباح استيقظت لا من نومها، لانها لم تنم ولكن من ذهولها لانها قضت ذاهلة وتناولت جرتها وغدت تركض الى الموردة تنتظر نوفل الذي ضايقها أنه لم يسع اليها في الليل ليسالها خبر هذا الخطب وتسأله خبر هذه النازلة • ولكنه لم يجيء أيضا في الصباح ولا حتى ليغسل العجل • • ولكن أين هو؟ ترى هل غادر القرية ؟ أم هل ألقى بنفسه الى اليم ؟ أم هل تراه قد فدحه الخطب وأفلج تفكيره النبا فطوح بجسده تحت عجلات (الوابور) السريع الذي يمر على المدينة كالبرق والذي حدثها مرات عن اعجابه بسرعه الخارقة ؟!

وانسكبت دموعها غزيرة مريرة على خديها • وزاد انسكابها انها لما التقت في طريقها برمانة ابنة صاحب مزرعة الفجل وسألتها عن نوفل أخبرتها أنه لم يأت البارحة كعادته ولا اليوم لياخذ بضاعته • •

وانقضت الايام الثلاثة المحددة للعقد والزفاف • • قضاه اهل القرية جميعا يترقبون ساعاتها بصبر نافذ وعيون متشوقة لطلعة هذا العرس الذي سيفيض منه الخير على القرية ويعم حتى اللساكر المجاورة • • وقضاها المعلم حميدو منهمكافي الاستعداد

نعرسه الذى أبى إلا أن يكون غرة أعراس الموسم فى القرى
وقضتها خضرة تبحت بلا جدوى عن نوفل .
واقبل المساء المشئوم الذى ازدانت فيه القرية بالاعلام والبنود .
ولبست فيه أبهى حلة خلعتها عليها عريس فى عمرها . ولم يبق
سوى ساعات قلائل تذهب أثرها خضرة الى بيت خالها الذى
اتفق على أن تزف منه (بالمزينة) الى بيت العريس . ولكن وقبل
أن تنقضى هذه الساعات بدقائق ، وبدقائق فقط شاء القدر الآن
يبرز نوفل من ثنايا العدم وإن تلتفت خضرة فجأة وهى جالسة
بجانب الحص تبكى فترى نفسها وجها لوجه أمام نوفل الذى
ما أن رآها حتى ارتدى على صدرها باكيا منتحبا كالطفل ملتجئا
الى أحضان أمه ..

ومدت يدها الحزينة وكفكت عبراته المنسابة وتمتمت :
- أين كنت ؟ وأين قضيت تلك الأيام الثلاثة السود ؟ ..
قل ! تكلم :
فنظر الى عينيها وابتسم من فرط ما يعانى من حسرة ..
وأردف ..
- كان قد استأجرنى أحد زبائنى فى المدينة لانتقل له حطباً
من ضيعته الى داره فى نظير أجر فرحت به فرحاً لا يقدر لانه
المكمل للجنهين الباقيين على .. على .. على ..

وانطلقت عبراته مرة ثانية فحالت بينه وبين اتمام الحديث
وهمت أن تمنحني عليه وتأخذه بين أحضانها وتجفف دموعه
المسترسلة لكنها لمحت أمها مقبلة عليها مع بعض النساء فبرقت
عينها وتصلبت أساريرها ونظرت اليه ثم انقضت على كتفيه
بيديها وراحت تهزها هزا عنيفا متواصلا وهى تسر اليه ببعض
الكلمات ، ومن ثم تركته وانطلقت الى أمها فرحة مريحة تضحك
وتدلل وتخبط فى سبيلها ..

وفى الليل وفى حين كانت الزغاريد تنطلق مدوية تشق عنان
السماء وأضواء (الكلوبات) تنير مدخل القرية وبيت العريس
: وتخلع عليها ثوبا كأنه قد قد من جسد الشمس ، وحين كانت
(المزينة) تعزف وتختلط أنغامها بأصوات الصحاف التى تنتظم
على المواالد المصفوفة .. فى حين ذلك كله كانت امرأة على سطح

أحد منازل القرية تخلع عن جسدها ثوبا حريريا هفهافا وتلقى به جانبا وترتدى غيره رثا ممزقا قد عراه البلي ، ثم انطلقت تقفز في سرعة جنونية على أسطح القرية سطحا سطحا ، حتى أشرفت على كومة عالية من القش ، وما أن ألقت بنفسها عليها حتى تلقاها رجل كان ينتظرها ومن ثم حملها على صدره وتوارى خلف أسجاف الظلام .

وبينما كان حادث الاختفاء والثوب الحريري الملقى على السطح حديث أهل القرية ومثار دهشتهم .. كانت امرأة تتجول في قرية نائية تحمل على رأسها سبطا كبيرا وبجانبا رجل ترنوا اليه وتبتسم كلما أرسل حنجرته في الفضاء العريض وتردد مغنية :
« صلاة النبي عليك يا زرع البنداري ياريان يا فجل » .





قِرَاتِ يَوماً أن كل ما في الحياة أخذ وعطاء فلم أصدق ، لا نني
قضيت حياتي أحد دائما ولا أعطي شيئا ، وماذا تعطي الزهرة
المتفتحة ، وأريجها العطرة حقيقة قد تغري هذه الرائحة الجميلة
بعض الأيدي السابتة أن تمتد إليها .. ولكن ثقي ان دون ذلك
أهوالا وأهوانا ، ومن فضل الله أنه لم يلق في طريقي بذلك
الشباب الذي يحتمل هذا المركب الصعب . وظللت كذلك الى أن
التقيت بنتي صيف العام الماضي على الشاطئ ، وكان هو الصيف
الأول وأنا حير الذي فضيناه في الاسكندرية كما يقضيه أصحاب
البسار والزل نأري . حيث دعتنا عمتي العجوز الثرية الى أن
نزل ضروبا عليها في الصيف ، وتقضى سحابة اليوم في كابيتها
الجميل على ، نستمتع حيننا بهواء البحر العليل ، وحيننا
بزرقة المائى ، وحيننا آخر بفن الترتة التي تجيده عمتي
اجادة مذهلة . اما نبيد صنع الشاي الأخضر المزوج بالنعناع .
وكانت اول مرة رأيتك فيها وانت تشقن البحر ، وتخرجين
من الماء كمرات الأساطير . عارية الا من ذلك المايوه الاحمر ،
الذي ضغط على حرك وردفيك في حنان مثير ، ولا أكتحك انني
شعرت وهذا باب الغيرة يدب الى قلبي وتمنيت لو أن تلك
العيون التي كانت ترسل سهامها الى جسدك الجميل فتكاد
تخترقه ، انما تسدده الى جسدي أنا وتعبت به ذلك العبت
اللذيذ الذي لا نستشعر لدته الا كل فتاة جميلة ، وكنت وقتها
أسير بجانب انبي فؤاد فالتفت اليه فاذا بنظراته الساهمة
الواجمة المزددة تتحسس جسدك وتلمس خطاك وتتبعك في
حرص شديد . فخلت له على الفور ضاحكة .
— حلوة يا فؤاد ..

وهم أن يقول لي شيئا ولكنك كنت قد دخلت الكابين وحرمت
العيون من تارك المتعة الغالية . وكم كانت دهشتي أنا وفؤاد
عندما دخات الكابين المجاور لكابين عمتي تماما . ولعل أكثرنا
دهشة كان فؤاد ، فقد ظلت نظراته الساهمة الواجمة الحزينة
ترقب الكابين ، كأنها ترى رؤيا العين ما بداخله . حتى بلغنا
عمتي وكانت جالسة أمام الكابين وحيثك عند دخولك ، فسألتها

فؤاد متخابثا عنك ، فراحت تقص عليه قصة طويلة لم نفهم منها شيئا ، وهذه هي طريقته في أحاديثها ، ثم انقضى النهار وانقضى بعده الليل أيضا ، وعدنا في اليوم الثاني الى الكابين ونظرات فؤاد الساهمة الواجمة الحزينة لم تتحول عن الكابين التي تجاور كابين عمتي . . وأنا أحب فؤاد ولا أعرف أن شقيقة أحببت شقيقها مثلما أحبه أنا . وكنت قد سمعت أن الحب القديم لا ينتزعه من القلب الا حب جديد . وكان فؤاد قد أحب ولكن لم يوفق في حبه . وانما فشل فشلا ذريعا كاد يقضى عليه لولا رحمة من الله ، لذلك سررت جدا أن أرى تلك النظرات الساهمة تتجه اليك أنت .

كان بودي ألا أذكر لك شيئا عن هذا كله ، لأن مجرد الذكرى تثير الشجن ، وتوقظ الماضي النائم هناك في محراب النسيان يستمد بقاءه من الصمت ، ولكن هل نستطيع ؟ هل نستطيع أن ننسى الماضي ، أن نهرب منه ؟ أن نحضرنا يعيش عليه ، يستمد وجوده منه . فكيف ننساه .

قلت لك أنني قد سمعت أن الحب القديم لا ينتزعه من القلب الا حب جديد ، ولذلك وضعت بيني غرس ذلك الحب في قلب فؤاد . . كنت أحده عنك كثيرا ، وكان هو يطرب لهذا الحديث ، وكنت أنا فرحة بذلك راضية عنه .

انك تذكرين ولا شك أول لقاء لنا على البلاج ، وكيف كان . كنت أنت في قلب الماء . وكنت أنا وفؤاد نستحم أيضا ، وفجأة ثارت الطبيعة فانقلب الجو وهاج البحر وأرغى وأزبد ، وراحت أمواجه المتلاطمة يركض بعضها خلف بعض في خوف واضطراب ، كما يركض قطع من الشبابة يطارده فارس مغوار . وبينما نحن جميعا نخرج من البحر خوفا من العاصفة ، اذا بنا نسمع صوت استغاثة ينبعث من مكان بعيد . وكان قلب العجب دليله كما يقولون .

فقد دعر فؤاد دعرا شديدا وراح يتلفت حواليه كالمنجئون . وفجأة كر راجعا الى الموج الصاخب بصارعه حينما فبصره مرات الى أن غاب عن أعيننا التي راحت تبحث عنه هلمة جزعة خائفة . ولكنه لم يمكث غير بعيد حتى خرج من البحر يحمل صيدا جميلا على كتفه . وكان الصيد هو أنت . ذات الرداء الأحمر وكنت

فاقده الرشد من فرط ماصارعك الموج ، وجاهدك البحر ، ثم ألقى بك على المقعد الوثير فى قلب الكابين حيث كانت تجلس. عمى التي أسعفتك سريعا وبمهارة فائقة فتحت عينيك ووجدت فؤاد أمامك مازال مضطربا شاحب الوجه لا أعياء ولكن خوفا عليك . ومددت له يدك شاكرة هذا الفضل حافظه له هذا الجميل فكانت فرحته حينئذ لا تقدر وسعاده لا توصف .

من هذا اليوم توطدت علاقتنا جميعا . وباركتها انت بأن قبلت دعوتى اليك فى اليوم الثانى على قدح من الشاي الأخضر الممزوج بالنعناع الذى تجيد عمى صنعه حقيقة . وكم كنت أنا سعيدة بهذا اليوم فرحه به الفرح كله . لأنه كان أول يوم توطدت فيه صداقتنا حقيقة وأول يوم أيضا فارقت فيه فؤاد تلك النظرة الساحمة الواجمة الحزينة . وأول يوم بعد ذلك كله ظهرنا فيه على الشاطئ معا . ورحنا نسير جنباً الى جنب . نتيه حينئذ بجمانا المرموق . وندل حيناً بقوامنا الرشيق . ونسخر أحياناً من تلك النظرات المعربة التي كانت تجردنا من ثيابنا وتروح فى نزق وطيش تعبث بكل القيم .

ثم شعرت بعد ذلك بسعادة أخرى ، عندما لبث عمى دعوتك لنا على الشاي فى دارك وهمست أنت فى أذنى عند انصرافك مؤكدة فى أن يصحبنا فؤاد فى تلك الزيارة الى دارك . ولو أنك كنت تحبين شقيقك محسن كما أحب أنا فؤاد اذن لعرفت معنى السعادة التي تغمر القلب وتفيض عليه عندما كنت أراك تستقبلين فؤاد فى دارك وتصافحينه فى حرارة وتردين على تحيته بأحسن منها . ثم وهو يختلس النظر اليك من حين الى آخر . وكأنه يسر اليك شيئاً وكأنك تسرين اليه أشياء فى غفلة من عمى التي كانت مسترسلة فى أحاديثها الجملة حينئذ فائقة الشاي الأخضر الممزوج بالنعناع ، وحيناً عن عصر شبابها الذهبى وليلة زفافها الخالدة التي لم يعكر صفوها سوى ضرب الاسطول الانجليزى للاسكندرية فى تلك الليلة ، من هذا اليوم اطمأن قلبى لأن العلاقة بينك وبين فؤاد كانت قد بدأت وبذلك انقشعت تلك الغيوم التي كانت تكتنف حياته أسفا على حبه القديم الذى مضى . وقد قلت لك أن الحب القديم لا ينتزع من القلب الا حب جديد . ولعلك تذكرين هيدى لامار فى روايتها الخالدة « أجنحة النسر »

التي حدثنا عنها كثيرا شقيقك محسن • ذلك الشاب الحبي
الجبول • برغم فورة الرجولة التي تعتمل في صدره ، ونورة
الشباب التي نختفي خلف زرقة عينيه • أجل لعلك تذكرين تلك
الرواية التي كانت تدور أحداثها حول حب قديم يريد الرجل أن
ينتزعه من قلبه وتأبى الأقدار إلا أن تبقيه • الى أن دخلت حياته
امرأة جديدة فغرس في قلبه زهرة حب جديد أينعت وازدهرت
وترعرعت ولكن على أشلاء زهرة قديمة عصفت بها الريح ، أجل
أنت تذكرين هذه الرواية ولاشك وتذكرين أيضا ليلة ان شاهدناها
- أنا وانت وفؤاد - وكيف كانت فرحتي في تلك الليلة عندما
دخلنا مقصورة السينما وأشرت أنت على بالجلوس في المقعد
الامامي لا لشيء الا لأنني اذا جلست في هذا المكان ، حتم وضع
المقاعد الأخرى أن يكون مكانك بجانب فؤاد • وكم سرني هذا
•• ولكي أزيد في غبطتي تركت لك المقصورة بحجة الذهاب
الى التواليت وكنت صادقة الظن عندما عدت فوجدت أن
ما توقعته قد حدث • ولعلك تذكرين كيف أنني كنت أضحك
وأضحك من قلبي عندما انتهى العرض وأضيئت الأنوار واقتربت
من فؤاد وهمسست في أذنه قائلة :

- امسح الأحمر اللي على شفائيك ••

ثم انتهى الصيف • وجاء الشتاء وتفرقنا • ذهبت أنا وعمتي
الى دمنهور • وذهبت أنت وأسرتك الى القاهرة ، وصديقني اذا
قلت لك أن الشتاء كان لا يقل جمالا وروعة عن الصيف ، فقد
قضاه فؤاد في القاهرة حيث دراسته وانت وقضيته أنا
في دمنهور حيث تردد علينا محسن كثيرا جدا ، وكما كان كريما
جدا عندما قضى في آخر مرة زارنا ، أسبوعا كاملا في ضيافتنا
كم كان بودي أن أحدثك عن ذلك الأسبوع الذي قضيته مع
محسن في دمنهور • ولكن هل أستطيع • لقد أمّنت بعد ذلك
أن السعادة تعرف ولا تعرف ، وإن كتابها الحالد لا يجيد قراءته
الا السعيد فقط • لأنه هو الذي كتبه •• وهو الذي يوبه ورتب
فصوله •• ثم سافر محسن بعد ذلك وبقي الكتاب بين أحضانني
أقرأه اذا أمسيت • وأقرأه كما أقرأه في اليقظة • الى أن جاء
الحريف وليته ما جاء • لقد ذكرني بالصيف وفرحته ، ثم بالشتاء
وبهجة • ثم بعد ذلك كله بالحقيقة التي لا مهرب لنا منها • كم

هى قاسية هذه الحقيقة عندما تسمى اليأس وتجردنا من كل شىء
الا ماهو كائن ..

لقد عرفت فجأة كيف أن النور الذى يضىء لنا الطريق ، هو
نفسه النار التى تحرقنا ، وان التضحية التى قمت بها على
حساب حياتى نفسها . تلك الحياة التى قدمتها دون أن أدري أو
أحس قربانا على مذبح نظرة طائشة من تلك النظرات التى تنطلق
على الشاطئ فى الصيف معربة باحثة عن كل جسد جميل
لتعبت بما فيه . أبدا لم أكن أظن وأنا أفرح سعيدة هائثة على
البلاج فى الصيف أن أول نقطة من الدماء التى ستخضب بها
الجريمة رمال الشاطئ هى التى سينزفها قلبى . أجل لم أكن
أظن ذلك الا ليلة الأمس فقط عندما همس فى أذنى الدكتور
فؤاد كامل طبيب الأسرة ، بأن شيئا ما ينام بين أحشائى من
شهرين .

ولما أبرقت الى محسن وأنا منهلة الفؤاد واجفة القلب ولم يرد .
ذهبت دون علمك . وكم هالنى فيه أن أراه ولا أول مرة يزم
شفتيه ويلويهما فى ازدراء ، تماما كما يكور الانسان شفتيه
تقرزا عندما يقع نظره فى الطريق على شىء كرهه . . أنا أعرف أنه فى
مقدورك أن تنقذ حياة - امرأة - قدر لها أن تسعدك فى يومها .
لأنها على الأقل قدمت لك شابا كان أكرم من أن يلغ فى الدماء .
واعتقد انك أنبل من أن تفجعى فتاة فى شبابها ، وامرأة فى
حياتها . . وأعتقد بعد ذلك كله أن محسن أرحم من أن ييتم
جنينا لم تخلق عيونه بعد ليساعد بالدموع أما ترملت قبل أن
يكون لها بعل . .

.. هل أنتظرايتها الصديقة الكريمة .. أيتها الأخت العزيزة .
أيتها الفتاة التى قدر لى أن أعرفها يوما .

والى يومنا هذا تنتظر العمة العجوز التى تجلس على الشاطئ
فى الصيف تتحدث عن ضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية .
وتضع الشاي الأخضر المزوج بالنعناع ، وهى تضرب بعينها
الضيق فى العباب الأزرق البعيد . وكأنها تنتظر شيئا غاليا
افقدته فى البحر بين الأمواج .





الله أكبر .. الله أكبر ، يذيق الفجر في القرية فيرتفع صوت المؤذن مرددا هذا اللحن الجميل الساحر الذي يستيقظ عليه كل صباح خفير القرية النظامي - أبو المعاطي عجلان - الذي يكون قد تعب من طول السهر فيذهب قبيل الفجر الى الصفصافة الرابضة عند مدخل القرية ويحتضن بندقيته وينام بجانب جذعها الى أن تزقزق العصافير فوق رأسه فيستيقظ ، ثم يحمل بندقيته ويذهب الى التربة فيغتسل ثم يجلس في انتظار سكينته - حتى تحضر لثملا الجرة فيمتع نفسه بطلعتها ويحدثها العذب ، ثم ينصرف وهو أسعد ما يكون بطلعة الصباح ..

غير أنه في هذا الصباح انتظرها ولكنها لم تحضر مبكرة كالعادة فتوجس خيفة . فلما تعبت عيناه من كثرة التطلع أرسل صوته في الفضاء متسائلا مرة أخرى :

صبح الصباح يا جميل وأنا على الموردة بدرى
كل البودرة يتورد وخلى لم ورد بدرى
بيد أنه لم يكده يتم الاغنية حتى سمع :

- صباح الخير يا أبو المعاطي .
- صباح الخير ياسكينة . ايه اللي أخرك النهارده ؟
ومد يده فتناول الجرة من فوق رأسها ، فلمح دمعة تجول في عينها فارتاع وقال :

- الله .. انت كنت بتعيطي ياسكينة ؟
وهوت سكينة وتكومت بجوار الجرة كأنها حزمة من القش ، وراحت تجهش في حرقه ومرارة وأخذ أبو المعاطي يستطلعها أمرها ويروح عنها حتى هدأت شيئا ، ثم قالت والدموع تتساقط من عينها .

- دول ح يجوزوني للسيد أبو حسن عرجي حنطور العمدة .
خامتقع وجه أبو المعاطي وقال مذهولا ..
- السيد أبو حسن ح يتجوزك انتي .. مين قال كده ؟
- أمه جت لأمي ليلة البارح علشان كده ..
وأطرق أبو المعاطي الذي علت وجهه صفرة شاحبة كما أطرقت

سكينة وانشغلت بتجفيف دموعها • ثم رفعت رأسها الثقيل
المحمووم وقالت وهي ترتعش حزنا • •

— تق انهم لو جوزوني له فسوف أموت • أفهمت ؟
ولم يجب أبو المعاطي بل وقف مذهولا متصلبا الوجه غير أنه
بعد حين استطاع أن يسترد بعض أنفاسه وأن يجمع شتيتا من
قواه المتناثرة ، ثم استدار ليقول لها شيئا ولكنه لم يجدها الا على
مرمي العين تسير لاهثة تحمل أحزانها في قلبها وعلى رأسها
جرتها فارغة لأنها نسيت أن تملأها فانصرف هو الآخر يكاد
الشرر يتطاير من عينيه •

ان العقبه التي أمامه كأداء ليس من السهل أن يتخطاها لقد
أوقعه القدر في امرأة خطيرة تزوجها • أوقعه في (أمانة) شقيقة
حضرة العمدة تلك المرأة الشريرة الدميعة المسنة التي تزوجته
بعد ثلاثة رجال امتصت دماءهم ، ثم ألقت بهم خارج الدان كما
يلقى الانسان بخرقه بالية في الطريق • • وكان هو يعلم • •
ويعلم أنها تكبره بخمسة وعشرين عاما • ولكنها أحبته وأظهرت
له رغبة الزواج منه • ذلك الزواج الذي سيجعله صهرا للعمدة •
وسيجعل الخير يتهافت عليه • •

وكان يعرف أيضا أن ثمن هذا الخير سيكون باهظا • هو
شبابه وحياته ودموعه ، وكان يعرف في الوقت نفسه فداحة
الثمن الذي سيدفعه فيما لو رفض الزواج من شقيقة حضرة
العمدة • الذي لابد له أن يحاسبه على ذلك وسيكون الحساب
عسيرا ان رفض فالعمدة قادر على أن يذل ويعز •

وهاهو قد أذعن فعلا وتزوج أمانة • ولكنه يحب سكينة • •
ويحبها حبا لا يعرف السبيل الى دفعه عنه أو التخلص منه • وهو
لا يستطيع أن يجهر بذلك • وهو أيضا لا يستطيع أن يتزوجها
لأنه ان فعل فسوف يذيقه العمدة مر العذاب • سوف يفصله
من وظيفته وسوف يزج به في أعماق السجون بعد أن يلفق له
التهمة تلقيفا • •

وكان قد بلغ القرية فلم يذهب الى بيته كالعادة وإنما يم
وجهه شطر دكان الشيخ سيد لىبتاع ورقة دخان يروح بها عن
نفسه ويشرب كوبة من الشاي الاسود يزيل بها بعض الهم الذي
ران على قلبه • • فوجد بسيونى أبو دياب يجلس امام الدكان

على - الكرويتة - الخشب يكركر فى (الجوزة) - وهو يدندن
كعادته ..

- جوزة من الهند ومركب عليها غاب
- مدندشه بالذهب ومجمعة الاحباب

وبسيونى أبو دياب من أهل قريته يخشاه الكبير والصغير
ويعمل له العملة نفسه الف حساب فهو من الاشرار الخطرين
على الأمن ، وحياة الانسان عنده كحياة دجاجة صغيرة ، وهو
يفخر بذلك ..

وما أن رآه أبو المعاطى حتى انهال على يده وقبلها كالعادة
وجلس بجواره مهموما مجزونا منهوك الأعصاب • فسأله بسيونى
عن سر كآبته فافضى اليه ملتاغا بحقيقة أمره • ثم غلب البكاء
أبو المعاطى فبكى طويلا بين يديه وهو يسأله أن يجد له مخرجاً •
وفكر بسيونى أبودياب طويلا ، وطلب - كرسيا - من المعسل
وضعه على الجوزة وراح على كركرتها يفكر ويتدبر الأمر :
وبعد صمت لم يشبه سوى كركررة الجوزة قال بسيونى •
- احسن حل انك تتخلص من أمانة •

وقبل أن يجيب أبو المعاطى الذى تهلل وجهه • أردف بسيونى
أبو دياب •

- وأنا سأخدمك فى هذه المسألة

فقال أبو المعاطى وقد وضع كل آماله فى عينيه ثم ألقى بهما
على وجه بسيونى وهو يخرج شيئا من جيبه •
- اننى أملك من حطام الدنيا خمسة جنيهات •
فقال بسيونى وقد أسند ظهره الى (الكرويتة) الخشب التى
يجلس عليها وأخذ ينظر الى دخان الجوزة المنساب من منخاريه
فى خياله •

- الجنيهات الخمسة أدفعها صدقا لسكينة • أما أنا فساقتل
لك أمانة الله فى الله فلم يسع أبو المعاطى الا أن ينحنى على يديه
مقبلا يدعو الله أن يبقيه وأن يجعله عونا للمظلومين •
ثم اتفق معه بسيونى أبو دياب على طريقة التنفيذ وهى أن
يطلب أبو المعاطى من زوجته أمانة أن تحضر الليلة فى الدرك عند
الصفصافة اذ أنه فى هذه الليلة أشوق ما يكون اليها وهو يريد
أن تبين معه فى الدرك كما سبق وحدث هذا مرات • وعندما

تأتى اليه • سيكون بسيونى أبو دياب فى انتظارها فى قلب
مزرعة الذرة المتاخمة للصفصافة فيستقبلها عند مجيئها برصاصة
فى رأسها ترديها فى الحال • وفى هذه الاثناء يكون على أبى المعاطى
أن يصرخ ويولول على زوجته التى قتلت •

وبعد أن اتفقا شد أبو المعاطى على يده ثم انصرف مبتهجا •
فالتقى فى الطريق مصادفة بسكينة والبشر يلوح على محياه ،
فاندھشت لحالته التى تغيرت فجأة • وسأله عن سبب هذا
الابتهاج فقال وهو أشد ما يكون سعادة وفرحا :

— لأننى سأنزجك ياسكينة ثم تركها وانصرف الى داره •
وفىها استقبل أمنة على أحسن ما تستقبل به الزوجة • وطلب
منها أن تحقق رجاءه وتذهب اليه هذه الليلة فى الدرك عند
الصفصافة •

وصارت الأمور فى هذه الليلة على خير ما يشتهي أبو المعاطى •
فالقرية قد نامت بعد صلاة العشاء كالعادة والظلام قد سدل
حجبه السمكة على الكون •

وفى وسط هذا الخضم الاسود الجاثم على الكون أبصر أبو المعاطى
شبح أمنة يقبل عليه من بعيد • فتهلل وجهه ولمعت عيناه •
وأسرع الى بسيونى أبو دياب المتربص فى حقل الذرة وأعطى له
الإشارة التى اتفقا عليها •

وما أن اقترب الشبح حتى دوى فى قلب السكون الرهيب
صوت كالرعد • ولمع فى جوف الظلام نور خاطف ملتهب • وإذا
بالشبح يهوى فى قلب القناة غارقا فى لجة من الدماء ، وإذا
بأبى المعاطى يسرع الى مكان القنيل متهالل القلب يصرخ ويندب
حظه الاسود وزوجته أمنة التى أرداها طلق نارى وهى فى
طريقها اليه •

وسر بسيونى لنجاح خطته بيد أنه تريت قليلا فى قلب الذرة
وانتظر حتى يبلغ أبو المعاطى مكان الجريمة حتى اذا كانت الرصاصة
لم تصب من أمنة مقتلا • رجع اليها وقضى عليها برصاصة
أخرى •

بيد أن أبو المعاطى لم يكذب يبلغ مكان الجثة حتى تبدل صراخه
المصطنع وعويله المختلق الى مرارة وحرقة •• الى لوثة اصابته •
الى هذيان فهم منه بسيونى أبو دياب ان التى قتلت لم تكن

آمنة وانما هي (سكينه) التي جاءت اليه في هذا الوقت المتأخر
لتخبر أبو المعاطي ان سيد أبو حسن قدم الشبكة الى أمها هذه
الليلة بعد صلاة العشاء •

ووجد بسيوني أبو دياب نفسه ودون أن يشعر على رأس
الجثة المضرجة بدماؤها ويجوارها أبو المعاطي الذي احتضنها
مذهولا والذي فقد صوابه أيضا فراح يلعن بسيوني أبو دياب
الذي أشار عليه بهذا العمل الأسود وبارتكاب هذه الجريمة التي
أبى القدر إلا أن تنفذ في سكينه ولما لم يجد فائدة من اقناع
أبو المعاطي بالكف عن هذا الصراخ وهذا الهذيان الذي سيفضحهما
ويودى بهما الى جبل المشنقة مد يده في هدوء وأفرغ في رأس
أبي المعاطي رصاصة جعلته يهوى فوق جثة سكينه فاقد النطق •
وفي الصباح بينما كان سكان القرية والقرى المجاورة متجمعين
حول الجنتين كان بسيوني أمام دكان الشيخ سيد يكرر في
الجوزة وهو يدندن على دخانها •

• حوزة من الهند ومركب عليها غاب •

• أخذت منها نفس وقلت ياتواب •

• تتوب على من الجوزة وشرب الغاب •



امراة العير



« شرفة قصر العزيز القائم على الماء بين جبلين صغيرين كأنهما
فى صحراء مصر سناما ناقة حلوب .. ثلاثة من الشسيوخ فى
لباس اخدم • اثنان ينهامسان • والثالث عند الشرفة يشرب
خمرا من زجاجة فى يده وينظر الى الموج الذى يصطلىق تحت
أعتاب القصر .. وكأنه الأسود تتصارع فى اليم • الوقت
قبيل الغروب .. »

الاول - وهو ينظر الى صاحبه .. أرايت ؟

الثانى - رأيت .. وسأرى ..

الاول - وبعد ؟

الثانى - بعد كقبل ، هموم تضى وأحزان تجى ..

الاول - أمكذا العمر ؟

الثانى - لأن هكذا الدنيا ..

الاول - « مفتاظا .. تبا لها .. أبعد ثلاثين عاما ياتمر

بأمرى كل من فى القصر يأتى فيأمرنى فتى غريب ..

الثانى - انه سيد عظيم ..

الاول - سيد عظيم ؟

الثانى - أجل ..

الاول - من هو ؟

الثانى - « مبتسما .. هذا الفتى الصغير ..

الاول - « فى دهشة .. ماذا تقول ؟

الثانى - هكذا تجرى الأمور ..

الاول - أمور من ؟

الثانى - أمور الفتى ياشيخ ..

الاول - أهو فى القصر سيد عظيم ؟

الثانى - أجل ..

الاول - « متعجبا .. وماذا يكون العزيز اذن ؟

الثالث - « يذهب اليهما خمورا يترنم والكأس فى يده .. »
يكون كما تحرك الأمور حامى البلاد وحارس أمنها ..

الثانى - « فى ضيق .. صه يا أبله ..

الثالث - « ضاحكا » أأبله أنا ؟

الثاني - انك لجنون ..

الثالث - « وهو يشرب » .. أحبيب به من جنون .. « يفرغ كأسا ثانية فى جوفه » نعمتان هما جل النعم ، خمر من الكرم نعصر ، وكأس بالعقل تذهب « يشرب » ..

الثاني - « محزوننا يخاطب الأول » .. أرى الامور فى القصر قد تخرجت ..

الأول - والى حد يثير العجب ..

الثالث - « ضاحكا يفرغ خمره من الزجاجة » .. مادامت هناك امرأة تلد « ضاحكا » فالعجب أن لا يكون العجب ..

الأول - « ساخطا » صه « للثاني » .. سأقص أموره على ربه ..

الثاني - رب من ؟

الأول - رب هذا القصر ..

الثاني - « ميتسما » .. هكذا شاء العزيز ياشيخ ..

الثالث - « وهو يضحك مترنحا » .. بل قل شاء الجمال ..

الأول - « له » .. ماذا تريد أن تقول ؟

الثالث - « مفكرا » .. أريد أن أقول .. أريد أن أقول .. يشرب .. أن لاشى عندى يقال ..

الأول - « فى غيظ » .. جمال من تعنى ؟

الثالث - « ضاحكا » .. جمال القمر ..

الثاني - أفصح جمال من ؟

الثالث - « وهو يمسح على شفتيه » .. وهل هناك أجمل من القمر ؟

الثاني - « فى غيظ » .. انك لرديد جبان ..

الثالث - « أحبيب به من جبن » يشرب .. خير ما فى هذا الزمان ، عين لاترى ، وأذن لاتسمع ، « ضاحكا » .. ورجل من غير لسان ..

« تقبل - باكيس - وهى احدى الوصيفات الجميلات وكاتمة أسرار زوجة العزيز وفى يدها تفاحة تقضم منها » ..

الوصيفة - أين الفتى ياشيوخ ؟

الأول - « وهو يكتظم غيظه » .. لم أره ..

الوصيفة - « تنظر للثاني » ..

الثاني - « وقد أشاح بوجهه » .. وكذلك أنا .
 الوصيفة - « للثالث » .. وأنت يامخمور ؟
 الثالث - أما أنا فحمدا .
 الوصيفة - على ماذا ياترى ؟
 الثالث - « وهو يشرب ضاحكا » .. بصرى الذى فقدته .
 الوصيفة - « مغتاطة » .. ان ربة القصر هى التى تسأل .
 الجميع - « فى خوف معا » .. ربة القصر ؟
 الوصيفة - أجل ، وتسأل هل تناول الفتى طعامه ؟
 الأول - « خائفا » .. أجل ، أجل ، وقدمته له بيدي .
 الثاني - « فى نفس الخوف » .. وأنا الذى سقاه الشراب
 الزلال ..
 الثالث - « مترنحا » .. وأنا الذى أطعمته الفالودج ، وزدت
 عليه حمامة ..
 الوصيفة - وأين هو ؟
 الأول - « مضطربا » .. هو ، هو .
 الثاني - « فى خوف » .. أجل هو هو .
 الثالث « ضاحكا » .. انه بين السحر والنحر .
 الوصيفة - ألا تثوب يوما الى رشذك ؟
 الثالث - « وهو يفرغ الكأس فى جوفه » .. الرشيد فى
 هذا الذى ترين ..
 الوصيفة - زجاجة وكأس .
 الثالث - هما منية النفس « يقترب منها » .. تريدين الفتى
 يافتاة ..
 الوصيفة - أين هو ؟
 الثالث - « يمسك بطرف ثوبها ويخطو بجانها مترنحا حتى
 يبلغ نافذة مطلة على النهر » .. هاهو ذا « ضاحكا » .. يدنى
 الكأس من شفثبه وهو ينصرف .. منى النفس ، قربى فاك
 من ففى .
 « ينصرف الخدم الثلاثة فى حين تطل باكيس الوصيفة من
 النافذة وما أن ترى يوسف على الشاطئ يقتسل فى اليم حتى
 تلتمع نظراتها وتتسمر على ساقيه الجميلتين المتدليتين فى الماء

كعمودين من نور ، وتروح تتأملهما حيناً ، وننحسس وجهه
بعينيهما حيناً آخر . وفجاء نطق من بين شفاهها صرخة حبيسة .
فقد عضت على بسانها وهي تغضم من التماحى وأسانت منه الدماء
دون أن يدرك . فى حين يعبل رليخا زوجة العزيز وضاعة الجبين
مشرفة المحيا ستره الا عطف . ترفل فى نوب من اسرير احالض
انثى من امام حى صدر عريض ناهد ونسى تنهيا برساح
من الحرير الاحضر ، تسبقها رائحة المسك والظيب ويحف بها
ثلاث رصيمات جميلات . . . »

زليخا - « الوصيفة با كيس » . . . فيما وفوت فى الشرفة ؟
الوصيفة - « صاحكة غير متنبهة الى الدماء التى تسيل من
أصبعها » . . . سنهوتنى حمرة الشفق ، فوفعت اصبع العين بقرن
الشمس الفارق فى اللجة .
زليخا - « ونى تظل على الشرفة » . . . منظر يسر جمال
العين . . .

الوصيفة - وأجمل منه هذا الذى تراه غينى . . .
زليخا - « وهى نلغى بالبصر حيث تتجه نغرات الوصيفة » . . .
لم أر شيئاً .
الوصيفة - « وفد فوجئت بمكان يوسف خاليا » . . . لقد
توارى . . .

زليخا - « وهى تنظر » . . . من ؟
الوصيفة - « حجل تسبل هديها فى خفر » . . . النور .
زليخا - « وكانها تخاطب نفسها » . . . ما أجمل هذا الشفق
لأننى به خضب العذارى « للوصيفة » . . . من هذا الذى يسير
عند السفح كأنه الشعاع الهادى ؟

الوصيفة - « وقد نظرت الى أصبعها الجريح » . . . دمي .
زليخا - « دهشة » . . . دمك ؟
الوصيفة - « وهى تتوجع » . . . أصبعى . . . أصبعى .
زليخا - « ما بها » . . . ما الذى جرحها ؟
الوصيفة - « كنت أقضم من التفاحة .
أحدى الوصيفات الثلاث - « لزميلاتهما متخابثة » . . . بل كانت
تقضم من أصابعها . . .
زليخا - أضاع رشك ؟

الوصيفة - بل فقدت صوابي .
 (يدخل الخادم العجوز يترنح)
 الخادم - مولاي رب القصر .
 زليخا - مرحبا بالعزیز .
 الخادم - « وهو يقترب من زليخا هامسا » .. وجاء من عابده
 الى معبود .
 زليخا - « ضاحكة » .. من العابد ومن المعبود ؟
 الخادم - « ضاحكا » .. أنا العابد .. وذات الحسن معبودة .
 زليخا - يالك من شيخ عجوز .. ماذا تريد ؟
 الخادم - أمر ذلك الفتى .
 زليخا - يوصف ؟
 الخادم - أجل ..
 زليخا - « مضطربة » .. ما به .. ماذا يريد .
 الخادم - لقد ولاء العزیز ..
 زليخا - على ماذا ؟
 الخادم - على شئون قصرک .
 زليخا - « ضاحكة » أحبب به من وال .
 الخادم - ولكن ، خادمك العجوز ، أبعد ستين عاما يسوسه
 فتى صغير ؟
 زليخا - « نشوى » .. سأوصيه بك .
 الخادم - أنا لا أريد هذا الخير .
 زليخا - ماذا تريد إذن ؟
 الخادم - زجاجتين من الخمر ، واحدة أمتع النفس بطاعتها
 صباحا ، وأخرى أطارحها الهوى مساء .
 زليخا - لك ثلاثة يافطير .
 الخادم - « ضاحكا » .. وماذا أفعل بالثالثة ؟
 زليخا - « ضاحكة » .. خذها في أحضانك .
 الخادم - « مرحا يهمس في أذنيها » .. يالك من عزيزة وياله
 من عزیز ..
 « يدخل العزیز فجأة » .
 العزیز - من العزيزة .. ومن العزیز يافطير ؟
 الخادم - « مضطربا » .. العزيزة .. العزيزة .. « ضاحكا » .

العزيزة زوجة العزيز .
 العزيز « مبتهجا » .. يالك من شيخ عجوز .
 الخادم - « وهو ينصرف سريعا وخلفه الوصيفات » .. بل
 يالها من خمر معتقة .
 العزيز - « وهو يعانق زليخا » .. عزيزتى .
 زليخا - فيما هذا البكور ؟
 العزيز - أستاذك في الذهاب الى فرعون .
 زليخا - لماذا ؟
 العزيز - لقرأتوا له الليلة بساحر عظيم .
 « يدخل يوسف حاملا على يديه صينية من الذهب يتوسطها
 تاج مرصع بالماس والجوهر .. زليخا عندما تراه تضطرب
 أنفاسها ولكنها تتماسك ؟
 العزيز - « وهو يتناول التاج ويضعه على رأسه » أتؤمن
 بالسحر يا فتى ؟
 يوسف - علمه عند ربى .
 زليخا - « وهى تختلس نظرة الى عيتيسه » .. انه هو
 ساحر ..
 يوسف - حاشا ان أكون كذلك .
 العزيز - « وهو ينظر الى زليخا » .. كيف ؟
 زليخا - « لنفسها فى صوت خفيض » .. وكيف لا يذوق
 الحمار خمره ؟
 العزيز - ماذا تقولين ؟ ..
 زليخا - « متداركة » .. أقصد هذه الحكم التى ينطق عنها
 الفتى ، لهى لعمري السجر بعينه .
 العزيز - قلبى يقول لى ذلك « ليوسف » .. اذن قص علينا
 طرفا من سحرك .
 يوسف - ماكان لى أن أتحدث عما ليس لى به علم .
 زليخا - « ضاحكة تنظر الى وجنتيه المشوردتين » .. انه
 يمكر بك ..
 زليخا - أمين انت ؟
 يوسف - والا لما أكرم العزيز متواى .
 العزيز - يالك من فتى ذرب اللسان .

زليخا - « وهى تنظر الى اهدابه المسبلة على جفنيه » .. اثم
أقل لك أنه السحر بعينه ؟
العزیز - « ضاحكا وهو ينصرف » .. هذا أمر يحتاج الى
بيان . وسأرجئه حتى أعود .
يوسف - « وقد توجس خيفة فيهم خلفه » .. ألا يريد
سيدي أن يكون خادمه فى ركابه .
زليخا - « تنظر الى شفتى العزیز » .
العزیز - ليس من تقاليد الملوك أن تصحب السادة الخدم .
يوسف - « وقد زاد اضطرابه » .. ألا يريد سيدي أن أعد
له شيئا ؟
العزیز - « وهو ينصرف » .. ماتأمرك به سيدتك .
زليخا - « ممسكة بذراعى العزیز فى أنوثة » .. أتصكت
بعيدا ؟
العزیز - حتى ينفض مجلس فرعون .
زليخا - ومتى ينفض ؟
العزیز - عندما ينتصف الليل .
زليخا - « وهى تقبله » .. سأسامر القمر حتى تعود .
العزیز - « وهو يقبلها ضاحكا » .. وسأسامر النجم حتى
الفاك ..
« يخرج العزیز ، فى حين يقف يوسف فى مكانه مغمض
العينين ينتظر الاذن له بالانصراف » .
زليخا - تتأمله طويلا ، ثم تمد يدها وتقرع أسطوانة
نحاسية على الحائط ، فتدخل على الاثر الوصيفة باكييس .
الوصيفة - « وهى تتحسس أضبعها الجريح » .. أمر
سيدتى .
زليخا - اغلقى هذه الشرفة ، وأزichi هذه الستر .
الوصيفة - « تغلق الشرفة » ثم تتجه يمينا وتزيح بعض
الستر ، ثم تفتح بابا كبيرا . فرى مخدع زليخا المزينة حوائطه
الأربع بالبللور ، ويتوهج فى قلبه النور ، الذى تنعقد فى
سمائه سحابة من دخان أبيض ينبعث من مبخرة من الذهب
وضعت فوق سرير كبير قائم على ظهر فيلة ضخمة من خشب
الابانوس .

يوسف - « وهو يعض عينييه عما يرى » .. أتأذن لي
سيدتي ؟

زليخا - بل ابق حتى تسقني الخمر .
« يخرج يوسف وتخطو زليخا الى المخدع ومن خلفها
الوصيفة » .

زليخا - « وهى تلقى بالوشاح من على كتفها فيبيد وجسمها
شبه عار الا من غلالة رقيقة زادت اغراء وفتنة » .. وما الذى
ترين ؟

الوصيفة - ان جمال هذا الفتى ياسيدتى يذيب الحجر .

زليخا - « وكأنها تخاطب نفسها » أذيب الجمال القلب ؟

الوصيفة - « صريعا » .. أجل .. أجل ..

زليخا - أذيب قلبه ؟

الوصيفة - هذا ما أشك فيه .

زليخا - « محزونة » .. كيف ؟

الوصيفة - لكأنى بعينى هذا الفتى يبض لاترى .

زليخا - أتحدثت اليه ؟

الوصيفة - تجرأت هذا الصباح واقتربت منه ، وقلبه له

ما أجمل عينيك يا فتى .

زليخا - فماذا قال ؟

الوصيفة - نظر الى السماء وتمتم يقول : اللهم انك قد

سميتنى من القتل الصغير فاحمنى من القتل الكبير .

زليخا - أى قتل يعنى ؟

الوصيفة - هذا ما يخبرنى .

زليخا - « لنفسها » .. لقد أحبه القلب .

الوصيفة - ليت القلب فقط ، أنه القلب والبصر والفؤاد ..

انه كل شئ .. كل شئ .

زليخا - تمد يدها الى عينيها وتجنف بعض الدموع .

الوصيفة - أتبتكين ياسيدتى ؟

زليخا - من نار تحرق ولا تحترق .

الوصيفة - « فى دهشة » .. أى نار لا تحترق .

زليخا - نار الذى لا يحب .

الوصيفة - وكيف تحرق إذن ؟

زليخا - نحرق الذي يحب •
 الوصيفة - فهمت تحبينه فتحترقين ولا يحبك ••
 زليخا - «مقاطعة» •• فلا يحترق •
 الوصيفة - سيدتي ، لقد سمعت يوما أن امرأة اسمها حواء ،
 ضحككت على آدم وأخرجته من الجنة ، فيماذا ضحككت عليه ؟
 زليخا - «ساهمة» •• يقولون بتفاحة •
 الوصيفة - «مفتاظة» •• قاتل الله التفاح ، نظرت اليه من
 الشرفة اليوم ، وكنت أقضم تفاحة ، فأذهلني عنها جماله
 وقضمت أصبعي •
 • « يسمع صوت أقدام يوسف » ••
 زليخا - انصرفي أنت وأتركيني معه •
 « تخرج الوصيفة ويدخل يوسف يحمل على يديه صينية من
 فضة عليها زجاجة وكأس ، يضعها أمام زليخا ، وما أن يرى
 صدرها الذي يتألق جمالا في عينيه حتى يهم بالانصراف » •
 زليخا - أنسيت آداب القصر الذي تربيت فيه ؟
 يوسف - يموت المرء دون أن يتعلم •
 زليخا - لا تنصرف إلا إذا أذن لك •
 يوسف - « وهو يقف » •• أمر سيدتي •
 زليخا - « تفرغ كأسا في جوفها ثم تنظر الى المرأة وبعد
 أن تتأمل جمالها فيها وتطمئن اليه تنظر الى يوسف فتراه
 مغمض العينين » : قيم تفكر ؟
 يوسف - في الذي خلق فرعون •
 زليخا - ومن الذي خلقه ؟
 يوسف - الذي فطر السموات والأرض •
 زليخا - « وهي تنظر اليه » •• وماذا أيضا ؟
 يوسف - وخلق الانس والجن لتعبده •
 يوسف - « وهو ينحني عينيه عن جسدها » •• وخلق
 الشيطان وقال أنه عدو لكم •
 زليخا - ولماذا خلقه إذن ؟
 يوسف - ليرى أى انسان أضعف قلبا ، وأيهم أكثر قدرة
 على المقاومة •
 زليخا - ليس كان في قدرته أن يخلقهم جميعا صلاب القلوب

- فلا يتبع الشيطان أحد .
- يوسف - من لم يدفع الثمن لا يستحق السلعة .
- زليخا - أى ثمن تعنى ؟
- يوسف - « وهو يسحب نظراته من على ساقها العاريتين » . .
- هذا الاغراء الذى أقاومه .
- زليخا - « فرحة تنهض اليه » . . اذن أنت تقاوم .
- يوسف - « وقد استقرت عيناه على صدرها » . . مالم يستطع غيرى أن يقاومه .
- زليخا - « وهى تقترب منه » . . تقاوم ماذا ؟
- يوسف - النار التى تحرقنى .
- زليخا - تحرقك أنت ؟
- يوسف - أجل .
- زليخا - لماذا ؟
- يوسف - « وكأنه يتوجع » . . لآئنى رجل .
- زليخا - « وهى تذهب الى الباب وتغلقه » . . وأنا امرأة .
- يوسف - « وهو يرتعد » . . أنت سيدتى .
- زليخا - « تتجه اليه » . . خذنى الى أحضانك .
- يوسف - حاشا أن أغتصب شيئا لست أملكه .
- زليخا - « وهى ترمى فى أحضانه » . . انه متاع لك . .
- ملك لك . .
- يوسف - « وهو يعتمد عنها » . . انه ملك لزوجك الذى أكرمك فآمنك عليه .
- زليخا - « مغتظة » . . أيؤنب الخادم سيده ؟
- يوسف - انما يبصر الخادم سيده .
- زليخا - « باكية » . . ولكنى أحبك .
- يوسف - وأنا أيضا أحبك .
- زليخا - « فرحة تذهب اليه » . . اذن
- يوسف - أحبك حب الأيمن لمن آمنه .
- زليخا - « وهى تمسك بكتفيه وتهزه هزا عنيفا » . . انك تحرقنى .
- يوسف - اننى أطهرك .
- زليخا - سأقتلك .

يوسف - القتل في هذا الذي ترين .
 زليخا - سأبعث بك الى السجن .
 يوسف - السجن أحب الى مما تدعونني اليه .
 زليخا - سأقول للعزیز أنك راودتني عن نفسي .
 يوسف - وسيقول الله غير ما تقولين .
 زليخا - « تقف ذاهلة تنظر اليه » .
 يوسف - أتأذن لي سيدتي في أن أفتح الباب ؟
 زليخا - « تبكي ولا تجيب » .
 « يتجه يوسف الى الباب ليفتحه فتهرع خلفه وتجذبه من
 قميصه فتمزقه في حين يدخل العزیز فجأة » .
 زليخا - ماجزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن او
 عذاب اليم .

نادى القصة

يقدم

في قهوة المجانين

بقلم

اسعد مكاي

الكتاب الذهبي

العدد الخامس والثلاثون

يصدر في ابريل سنة ١٩٥٥ - الثمن عشرة قروش

الكتاب الذهبى

العدد الرابع والثلاثون - مارس سنة ١٩٥٥

يصدر عن دار روز اليوسف

١٨ شارع محمد سعيد - القاهرة

الاشتراكات

مصر : ١٢٠ قرشا عن سنة - ٦٠ قرشا عن نصف سنة

الخارج : ١٨٠ قرشا عن سنة - ٩٠ قرشا عن نصف سنة

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

رئيس التحرير المسئول : سعد الكفراوى خليل

تطلب مجموعة الكتاب الذهبى من المكتبات الاتية :

مكتبة الحانجى بالقاهرة ت ٤٣١٤٨ - ومن مكتبة المثنى

ببغداد ٣٥٨٨ - ومن المكتب التجارى ببيروت ت ٢٣ - ٢٠

ومن مكتبة النجاح بتونس - ومن دار روز اليوسف

١٨ شارع محمد سعيد ت ٢٠٨٨٨

جميع الحوالات ترسل باسم « روز اليوسف »

بريد البرلمان

Bibliotheca Alexandrina



0362872

